روايات عبير الجديدة

شيفيان لي

# حياتي احترقت

lillas.com

LILLAS.COM

LILAS.COM

# حياتي احترقت

ڤيڤيان لي

كان كلام السيدة دونيكان واضحاً: «إذا تزوجتما خلال ستة أشهر، فهذا المنزل الفخم والثروة الكبيرة سيكونان لكما، وإلا فلن تحصلا على شيء».

وسافرت العمة العجوز، لكن شرطها بدا مستحيلاً، فكيف يمكن أن يجتمع النقيضان؟

هو: رجل أعمال ناجح واقعي، يحتقر الفنانين و... يكره النساء.

هي: رسامة موهوبة حالمة تعيش من أجل لوحاتها. أحرقتها نار حبه حتى أطراف أصابعها، ولكنه لا يهتم بها إطلاقاً. ومهلة الستة أشهر شارفت على النهاية وعلى أحدهما أن يرحل، إلا إذا توصلا إلى اتفاق...

وقضمت العجوز من الخبز قضمة كبيرة وتمتمت:

- من دونه، أشك في قدرتي على تكديس الثروة التي أمتلكها أو في التأثير الذي لي على العديد من دوائر العمل.

وضحكت بليندا، وتناولت قطعة خبز بدورها وقالت:

- لقد قابلت أشخاصاً أضخم جثة منك سيدة دونيكان.

وحثتها السيدة دونيكان قائلة:

- ضعي المربى والزبدة على قطعة خبزك يا عزيزتي ولا تخافي. فأنت تعرفينني جيداً وتعرفين أنني لا أمانع.

وهزت بليندا رأسها وقالت:

- إنه لطف منك، ولكن لا يجب عليّ أن أفعل، فسيجعلني هذا سمينة، ومن سمع من قبل بفنانة سمينة؟ سيفسد هذا شكلي. فالمفروض بالفنانين ان يبقوا جائعين لا أن يسمنوا بالمربى والزبدة.

- سيستلزم الامر كثيراً لتسمني أيتها الشابة، فأنت نحيلة، وجميلة وجسدك متناسق بطبيعته. وطباعك حلوة غير انانية تتناسب مع جمال شكلك.

ونظرت بليندا إلى الأعلى نحو وجه رفيقتها:

- أتمنى أن لا تسافري سيدة دونيكان. فأنا أفضّل أن أحتفظ برفقتك على أن أحتفظ بمالك أو منزلك، أو حتى أن أشارك فيه.

- هذا إطراء زائد يصدر عن فتاة شابة لامرأة عجوز. ولكنني قد اتخذت قراري، وساهاجر.

وقطبت بليندا جبينها ووضعت آخر قطعة خبز في فمها، ونفضت يديها:

- هل انت متأكدة من أن حفيد اخيك سيكون متعاوناً؟

- أنا واثقة. واثقة تماماً... ولماذا؟ لأنني أمرته بذلك، ولم أطلب منه ولأنني عندما آمر شخصاً بشيء، حتى ولو كان عنيداً ورأسه يابس مثل



حفيد اخي في تعامله التجاري، فهم عادة ينفّذون ما أريد، وكما ترين فإن حفيد اخي قد ورث الكثير من عناد عمته العجوز! لقد كتبت له وأعلمته بالوضع. وسيعود اليوم من الأرجنتين. ويستطيع أن يحتج قدر ما يريد، لقد أبلغت المحامين ووقّعت على الوثائق التي أعطي بموجبها هذا المنزل له ولك لتتشاركا به على الدوام. وسيكون ملككما معاً، وأرجو أن تنتبهي لكما معاً وليس لنفسك فقط.

- ولكن سيدة دونيكان، عندما تعودين إلى انكلترا أين ستسكنين؟

- لن أعود إلى انكلترا. سأقضي بقية أيامي في نيوزيلندا مع شقيقتي.

وأظهرت بليندا بعض الاعتراض إلا أن المرأة العجوز أمسكت بيدها:

- لنواجه الأمر. أنا عجوز وأيامي تكاد تكون معدودة. ولا أستطيع تحمّل سوى رحلة واحدة باتجاه واحد، وعبر العالم مباشرة، ولن أستطيع بعد خمس، أو لنقل عشر سنوات إذا كنت محظوظة أن أتحمّل رحلة العودة.

- ولكنك ستحتاجين لمالك سيدة دونيكان.

وابتسمت في وجه بليندا:

- هل حقاً تريدين التحدث معي حول كمية المال التي تركتها لك؟ لن أحتاج إلى مالي. فشقيقتي أرملة ثرية مثلي، يبدو أن هذا إرث في العائلة! وسيكون عندنا من المال أكثر، بل أكثر بكثير، مما نحتاجه في أواخر أيامنا.

ضغطت السيدة دونيكان على زر قرب المدفأة فأقبلت امرأة مسّنة ولكن أقل عمراً من مخدومتها، وانحنت مبتسمة للعجوز ثم لبليندا التي كانت تضع الأطباق في الصينية وقالت:

- لا تزعجي نفسك يا آنسة.. هذا عملي أنا...

وسألتها بليندا:

- هل أنت تواقة للذهاب إلى نيوزيلندا يا ليديا؟

- كثيراً جداً يا آنسة، فلم أغادر انكلترا من قبل.

وقالت ايلين دونيكان:

- وبما أننا سنسافر بحراً، فسنشاهد الكثير من العالم في الطريق...

ووقفت بليندا وقالت:

- اعذريني سيدة دونيكان؟

- طبعاً يا عزيزتي.. فلديك عملك. وأنت مشغولة، تماماً كما حفيد خي مشغول بعمله، ولا وقت أمامكما لأي شيء آخر. ولا تشغله امرأة في حياته، على الأقل لا يتكلم عنهن. ولكن لا أعتقد أنه يقول لعمته لكبيرة كل شيء!

كلما دخلت بليندا الغرفة الكبيرة التي تدعوها المرسم تشعر بالنشاط. وبسبب كرم السيدة دونيكان الذي لا يصدق، تستطيع أن تعتبر المرسم مرسمها الآن. فلم تعد تشغله إعارة أو امتيازاً، ولكنه اصبح هبة.. نصف المنزل الآن ملكها... ولا يهمها واقع أن يشاركها فيه رجل لا تعرفه، حسب وصف عمته له طبيعة مسيطرة وصعبة وغير مرنة. لكن لا بد أن يكون عنده بعض الصفات الإنسانية. ويجب عليهما أن يتوصلا إلى اتفاق ما بينهما بالنسبة لإدارة هذا المنزل... وقد أوحت السيدة دونيكان، أن له مركز مرموق في عالم الصناعة، كونه مدير قسم في شركة اليكترونيات عالمية. وقالت عنه:

- إنه قاسٍ في تعامله التجاري. وأي رجل عند القمة يجب أن يكون هكذا. لا لكي يصل فقط الى القمة بل حتى يبقى فيها.

وأخذت أدوات التلوين وبدأت تخلط الألوان وهي تفكر... ترى كيف يبدو في تعامله مع الناس؟ ستعرف في القريب العاجل، اذ يتوقع وصوله في أي وقت من هذا اليوم. لا بد أنه قد قطع آلاف الاميال من الارجنتين إلى لندن، وسيمضي ليلته هناك قبل أن يستقل سيارة أجرة إلى دير بشاير، حيث سيمارس عمله الجديد هنا.



وسمعت صوت سيارة تدخل الممر الذي يقود إلى مدخل المنزل وأسرعت نحو النافذة التي تطل على الممر. وكل ما استطاعت أن تراه كان شعر رأسه الأسود، وعرض كتفيه، وبقية طول جسده من الزاوية التي تستطيع الرؤية منها. حركات الرجل كانت سريعة وثابتة، وأخرج معطفه وحقيبته الصغيرة من السيارة وأغلق الباب، وفتح الصندوق وأخرج حقيبتين منها في لحظات. وكأنما القادم الجديد في سباق دائم مع الوقت، ويبدو أن الوقت هو الخاسر الدائم معه.

ولم تنزل بليندا إلى الأسفل، فقد شعرت بالخجل من لقاء الرجل الذي ستكون شريكة له في ملكية هذا المنزل القديم والجميل. وشعرت بالخوف ايضاً. فقد تكون شخصيته من الصعب التفاهم معها. وهي في حالتها هذه دخيلة وهو عضو من العائلة، والأفضل أن تحتجب عن المسرح وأن تستأجر مكاناً تعيش فيه أو أن تعود إلى منزل والدتها الصغير، وتجد لنفسها عملاً بالقرب من هناك، وقرعت ليديا باب المرسم قائلة:

- السيدة دونيكان تريدك يا آنسة. السيد غاردنر وصل وتريدك أن تقابليه!

وأخذت تنظّف الدهان عن يديها، ثم أخذت مشطاً عن طاولة الزينة، فقد كان المرسم أيضاً غرفة نومها، زوّدتها مضيفتها فيه بسرير وعدة أدوات راحة أخرى، ومشطت أطراف شعرها الطويل، الذي طالما وعدت نفسها بأن تذهب الى الحلاق لتقصه، ولكن دون أن تجد الوقت الكافي.

هل تغيّر ثيابها؟ لقد كانت ترتدي ثياب العمل العادية، وتبدو في كل مظهرها كفنانة حقيقية. واذا كان يحب الفنانين، فإنها تبدو رائعة، ولكن ماذا إذا لم يكن؟..

إنه لا يحب الفنانين. تستطيع أن ترى هذا بوضوح في قسمات وجهه

الأسمر، القاسي، الوسيم وعيناه الضيقتان. وكان طويلاً ايضاً، وشعره كثيف وقاتم، وملابسه فاخرة، وتصرفاته حادة. والجو المحيط به هو لرجل، على الرغم من تودده السطحي، إلا انه في الداخل يملك تحت هذه القشرة ذهن متوقد وصافي، وتحفظ منعزل لا يمتلكه سوى النخبة المحظوظة. وبما أن بليندا لم تكن من النخبة المحظوظة هذه فقد استطاعت أن تلاحظ ذلك على الفور.

على كل الأحوال، ابتسمت له، وكان للابتسامة عدة صفات مختلطة! كانت جميلة، غير واثقة، ومع ذلك مرحبة، وتغطي الارتباك الذي ساورها عند مشاهدته. وقالت بثقة بالنفس لم تكن تشعر بها حقاً «مرحباً سيد غاردنر».

ونظر إلى يدها الممدودة، ثم نظر إليها، وللحظة فظيعة اعتقدت انه سيرفض يدها ويقابلها بالشأبي بازدراء. ولكن بأدب جم، حتى ولو ظاهري وضع عدائيته الظاهرة للعيان، جانباً ومد يده للقاء يدها. كانت قبضته ثابتة، مصافحة عمل، ليس أكثر، ودامت ثانيتين كما خمنت بليندا. ومن الغريب كيف شعرت بأنها «عدونه» بالرغم من أنه لم يوجه لها أية كلمة. وقالت السيدة دونيكان:

ـ غارث.. أليست جميلة؟.. أليست بهية المنظر؟ أليست كل شيء قلته لك؟

ـ عمتي.. لا يمكن لامرأة أن تبلغ حد الكمال كما وصفت الآنسة هامر، بالطبع.. لقد كنتي كمن «يبيعني» إياها. ويحتاج الأمر إلى بائع قوي الحجة «ليبيعني» أية امرأة. إنهن مفيدات كسكرتيرات، او طباخات، او ممرضات عندما يكون المرء مريضاً. ولكن ما عدا ذلك، لا أرى أية حاجة ملحة لأن يمتلك الرجل واحدة منهن في حياته.

ـ غارث.. سفرك إلى الخارج لم ينفعك. لقد جرّدك من الصفات البشرية. لو أن رجلاً يحتاج إلى امرأة في حياته لتعيد الدم إلى عروقه فهو



أنت يا الهي يا ولد، أنت في الثالثة والثلاثين من عمرك، ومع ذلك تتكلم وكأنك أعزب جاف العاطفة سريع الغضب. وهذا ما يجعلني سعيدة لأن أكون بعيدة النظر بأن أضع الشروط التي وضعتها على المبلغ الهائل من الأموال التي جعلت المحامين يضعونها قيد الامانة لصديقتي الشابة بليندا هامر.

وسألتها بليندا: «قيد الأمانة سيدة دونيكان؟».

ـ اجل.. قيد الأمانة يا عزيزتي.

ـ وما كان قصدك يا عمتي؟ أنت عجوز غريبة الأطوار لا يمكن التنبؤ بتواياك، وأنا لا أثق بك أبداً...!

ـ اشكرك يا ابن اخي العزيز... أنت تعني بقولك التوبيخ، ولكنني أتقبلها وكأنها إطراء لي. أعترف أنني غريبة الأطوار، وبثروتي أستطيع أن أكون ما أشاء. وأعترف بأنني لا يمكن التنبؤ بما أنويه، فأنا على الدوام كنت مسرورة بعمل كل شيء مسرف في الخيال، وهذا سبب قراري بالسفر آلاف الاميال عبر العالم في عمري المتقدم، الثامنة والسبعين هذا. ولو كنت في مكانك، لما وثقت أبداً بنفسي أيضاً!

وأشارت إلى بليندا التي كانت تقف إلى جانبها، ودعت ابن شقيقها ليقف إلى الجانب الآخر. وأخذت يديها وجذبتهما أمامها حتى التقيا وقالت:

ـ دعني يا غارث أقدّمك لزوجة المستقبل بليندا هامر. بليندا هذا غارث غاردنر، زوج المستقبل....

وردت عليها بليندا «سيدة دونيكان لا يمكن أنك تعنين ما تقولين!».

ونظرت اليها ايلين، ثم قال غارث «عمتي ايلين هذا أمر غير معقول!».

ونظرت اليه ايلين أيضاً وقالت «لقد حذّرتك... ولكنني سأكون لطيفة معكما.. سأعطيكما ستة أشهر. إذا تزوجتها ستتسلم بليندا مبلغاً

محترماً من المال كل شهر لمساعدتها في عملها الفني... وستحصل على مال وفير تصرفه كيفما شاءت!».

وقالت بليندا «ولكن... إذا لم نتزوج؟».

ـ سيعود مالي إلى عمل خيري مفضل عندي «منزل القطط» أنت تكره القطط، أليس كذلك يا غارث؟ وحصتها في المنزل ستعود اليك وعندها ستضطر هي إلى مغادرة المنزل.

وقاطعتها بليندا «ولكن سيدة دونيكان».

ـ آسفة يا عزيزتي، قد يبدو عليّ أني لطيفة، ولكن في داخلي، أنا قاسية وعجوز مزعجة. وأحب أن أفعل ما اريد، حتى ولو على ذلك الإساءة للناس. وحفيد اخي ورث أخلاقي، لذلك احذّرك عندما تتزوجان....

وصرخ غارث بالكلمات من بين اسنانه:

ـ لن يكون هناك زواج! إنه أمر مناف للعقل! أنت مجردة من الضمير!

ـ وأنت كذلك يا غارث... مثل الميل الى الزواج من الرجال الاثرياء ووراثتهم بعد موتهم... مثل شقيقتي أتذكر؟... مثل هذه القسوة وراثة عائلية، ولا تستطيع أن تحتج يا غارث. فأنت تملك ما ورثته من العائلة من أخطاء. وأنا اتكلم معك بطريقتك: إما أن تتزوج هذه الفتاة، وتأخذ المال مقابل الجمال والذكاء والعاطفة، وهذه أشياء لا تملكها أنت، وتعطيها فرصة للعيش الهنيء، إذا لم يكن البذخ، لما تبقى من حياتها، أو أن لا تتزوجها وستعود إلى ما كانت عليه من الفقر والتشرد قبل ان أضمها تحت جناحي. وإذا تركت هذا البيت، لن يعود عندها بيت تلجأ إليه.

ـ لن يكون هناك زواج!

وارتجفت شفتا بليندا لعنف لهجته وقالت:



ـ لا أريد أن أتزوج سيدة دونيكان، خاصة الى... الى...

ـ لا يا عزيزتي... لا تستطيعين وصفه انه جلف فظ، انه غير متمدن، انه.. انه.

وارتجف صوتها واختنق، واسرع غارث ليقف أمامها ويمسك بيدها:

ـ انا آسف يا عمتي... أعتذر، أعتذر بكل إخلاص... ولكن يا عمتي... الوضع مستحيل، ويجب أن تعرفي هذا. لم أشاهد هذه الفتاة سوى منذ دقائق.. لا أستطيع أن اضع «السرج» على ظهري...

ـ تضع «السرج»! مع مثل هذه الساحرة، المحبة الجذابة..

فاستدار ونظر إلى بليندا:

ـ لا شك أنها كذلك. فصديقتك الشابة، قد سوقت نفسها لك بمقدرة وخبرة بائع قدير. وكيف تعرفين أنها صادقة، وأن البضاعة التي باعتها لك ليست زائفة.. ثانوية... ومستعملة؟

وتصاعد الدم في وجه بليندا وقالت بغضب:

ـ أرجوك المعذرة سيدة دونيكان.. لديّ أعمال أريد أن أنهيها!

ـ طبعاً يا بليندا..

والتفتت إلى غارث «هذه الفتاة متعصبة لعملها. إنها مشغوفة به».

ـ وهذا ما يجعلنا اثنين من نوع واحد، على الأقل أصبح لدينا شيء مشترك هو محبة أعمالنا.

ونظرت إليه بليندا من عند الباب وقالت «وهذا شيء ضئيل جداً سيد غاردنر». وابتسم بسخرية واستدار إلى عمته:

ـ لو أننا وافقنا على اقتراحك السخيف بأن نكون رجلاً وزوجته، على الأقل لن نضطر لأن نقف في طريق بعضنا البعض. سأكون منشغلاً حتى أعلى رأسي بالعقود والمشاريع واللقاءات وستكون هي في مرسمها منشغلة تماماً برسم خيبتها وصدمتها واضطراباتها العصبية على الكانفا، والورق او أي شيء يستخدمه الفنانون هذه الأيام.

وأجابته بليندا:

ـ شكراً لك لتخفيضك مستوى قدراتي الفنية ومهنتي إلى درجة الاضطرابات النفسية. واعذرني لقولي هذا، ولكن مع أنك قد تمتلك الذكاء لتحويل نفسك إلى «ملك اعمال» فأنا اشك في امتلاكك الاحساس الضروري لتعجب بعمل فني حتى ولو شُرح لك بالكلمات. أنا أرسم لأريح نفسي من التوتر العصبي. انا أرسم لأنني أحب الرسم، ولأنه لا يوجد شيء بداخلي، لا قوة غير مسؤولة تدفعني ولا تتركني لأرتاح. وأنت، بما أنك رجل في القمة لا بد أن تعرف عن القوى الدافعة والتي تعطينا شيئاً مشتركاً أيضاً!...

وصفقت الباب ورامها، وسمعت من وراءه ضحكات سيدة المنزل التي كانت تطلقها برضى وسرور....

وقف غارث غاردنر في منتصف غرفة المرسم، وبداء في جيوبه يتحدث الى بليندا «ماذا سنفعل بخصوص الموضوع؟ لقد دفعت عمتي إلى هذه النهاية أليس كذلك؟».

ـ لا بد أنني في نظرك مصابة بداء عصبي سيد غاردنر، ولكنني لم أصل الى هذا المستوى من الجنون. لا بد أنك لم تأخذ فكرة عمتك على محمل الجد؟

ـ وهل تأخذينها أنت؟

ـ بالطبع. لا...

ـ هل لديك اصدقاء شبان؟

ـ واحد أو اثنان.

ـ هل هناك واحد خاص؟

ـ ربما، على كل ماذا يعني لك هذا لو أن عندي صديق؟

وابتسم بسخرية واتكأ على حافة النافذة:

ـ أريد أن أعرف مدى المنافسة التي سوف أواجهها، وكم من منافس



يجب أن أتغلب عليه لاكسب «الجائزة».

ـ لا تهتم، فالاتفاق لاغي، بالنسبة لي لم افكر به أبداً. اعطني فقط ستة أشهر هنا وهذا كل ما أطلبه. وبعدها ساجد مكاناً آخر أعيش فيه.

ـ وتتخلين عن المال؟

وعضت شفتها ولم تجب. وأخذ يتجول في الغرفة، يحدق بالصور غير المكتملة، والرسمات البدائية المنتشرة على الارض، والتي أخذ يرفسها برجله ليديرها او يزيحها لينظر إليها. والتقط بعض طين الخزف ثم رماه من يده ونظفها بمنديله. ثم تقدم الى جانبها يراقب ضربات فرشاتها على اللوحة.

ـ هل هذا ما تفعلينه طوال اليوم؟ تستغلين عمتي كممول لك، تقدم لك كل احتياجاتك، وليذهب كل العالم إلى الجحيم؟

ـ انا مدرّسة، انني ادرّس الفنون في مدرسة محلية كبيرة، لهذا ترى أن لدي بعض من التفكير، مع صغره، ولكنه كاف لأن أكسب معيشتي واهتم بنفسي حتى النهاية.

ـ نهاية ماذا؟

ـ نهاية أيامي حتى لا يضع السرج على ظهري رجل.

ـ بكلمة أخرى ليس لديك النية أن تلتزمي برغبات عمتي؟ وفي هذه الحالة لن تحصلي على مالها. كم أنت بحاجة لهذا المال؟

كم هي بحاجة إلى المال؟ بحاجة إليه كثيراً، وبيأس. من أجل والدتها وليس من أجلها شخصياً. ولكن لو قالت له الحقيقة، سيعتبر أن ذلك بمثابة وضعه امام أمر واقع ليتزوجها، وليريح والدتها من متاعبها المالية الكبيرة.

عليها أن تعترف أنها بحاجة إلى المال. ولكن ثمن الوصول إليه كان اكبر من أن تتحمله، حتى ولو كان سيريح والدتها من الحمل حتى لا تعمل بعد الآن.

ولكنها تعلم أن عليها أن لا تدفع هذا الرجل ليكون مجبراً على الزواج منها أبداً. إنه قاس ولا رحمة في قلبه، هكذا قالت عمته، وصلب في مبادئه، وما عليها إلا أن تنظر اليه لتعرف هذا. وإذا اقتنع بتنفيذ أمر ما فلن يتردد في الوسائل التي توصله اليه. وإذا كان بزواجه منها سيقوم بعمل خير لوالدتها، فلن يتردد بالزواج منها. ولكن فكرة الزواج من هكذا رجل أرعبتها. لذا فقد قررت أن تلعب أوراقها بمهارة. فقالت «إنني أريد المال برغبة كبيرة».

- لمن تريدينه؟

- ولمن غيري؟ سيكون مالي، وسأحتفظ به! سأستخدمه لدفع عملي، ولكي أتحمل المنافسة، سأصرفه على الثياب، الثياب المكلفة الجميلة، وسأشتري سيارة، ليس سيارة صغيرة بل كبيرة، وأتباهى بها على زملائي في المدرسة...

وتحرك عن النافذة، ووقف في وسط الغرفة ينظر اليها قائلاً:

- شكراً آنسة هامر لأنك قلتي لي هذا... وأيضاً لإظهار جزء من شخصيتك لي، والتي ابقيتيها مخفية عن عمتي.. ماذا قالت؟ حلوة.. مرحة، جميلة المظهر، ذكية وعطوفة؟ يا الهي، لا تعرف عنك سوى القليل لتقوله لي! وقد أستخدم كلمات بدائية لأصفك. كلمات مثل جشعة ووحبة للمال وأنانية بكل ما في هذه الكلمات من معنى!

والتقت عيناهما، عيناها واسعتان غير مصدقتان، وعيناه ضيقتان فيهما ازدراء، وخرج من الغرفة. إذاً.. ها هو الآن يحتقرها لجشعها وأنانيتها وهو تماماً ما قصدت اليه، لن يتزوجها بعد الآن بالتأكيد. وهذا ما أرادته.

واختار غارث قسماً منفصلاً من المنزل لاستخدامه الخاص، غرفة نوم كان يستخدمها في الماضي، وغرفة جلوس كانت تعرف بغرفة الاحتفالات. وغرفة الطعام الكبيرة التي رفضت بليندا أن تشاركه بها.



وهناك غرفة أصغر منها ملاصقة لغرفة جلوسه اقترحت السيدة دونيكان أن تستخدمها كغرفة طعام وأصبح مفهوماً أن بليندا إضافة إلى المرسم الذي تشغله، سوف تستخدم الغرفة الملاصقة له كغرفة نوم.

كما أن هناك مطبخ كبير في الناحية الخلفية للمنزل، وعلى الرغم من أنه مزود بأحدث الأدوات الا أنه لا زال يحتفظ بطرازه القديم. وتم الاتفاق على أن يستخدمانه مشاركة وبالتساوي. وقال غارث إنه سيحضّر طعامه بنفسه، مما أدهش بليندا، إلا أنه أجاب أنه يفعل هذا عن قصد حتى يزيل أي حاجة للمرأة في حياته. فاحتجت عمته قائلة:

- لا لزوم لهذه الفظاظة..

وسألته بليندا وقد ظنت أنها تمكنت منه «وماذا بشأن الغسيل؟».

- أستخدم الغسالة، أو الأفضل أن أرسل ملابسي إلى المصبغة، فتعود إليّ نظيفة ومكوية وموضبة، أفضل من عمل أية امرأة، وأية زوجة...

فقالت بليندا «يا الهي من ستتزوجك سيكون أمامها مهمة صعبة، سوف تمزق نفسها لتستطيع العيش بمستواك...» وأجابها «لن تتزوجني أية امرأة». وتدخلت عمته «غارث! ستغير رأيك. يجب ذلك، وإلا سيثقل هذا ضميرك لما تبقى من حياتك، لأنك عامداً متعمداً ستحرم هذه الفتاة من استلام الهبة التي حضرّتها لها».

- وأنت يا عمتي عامدة متعمدة حضرت لي فخاً لتدفعيني للزواج. ولن تستطيعي إنكار هذا!

- لن أنكر، وطبعاً فكرتي تناسب ما في ذهنك، فأنت بحاجة إلى ترويض أيها الفتى، وامرأة وحدها، جميلة وكاملة تستطيع...

- لا تقولي هذا يا عمتي، ليس هناك من لها هذه الصفات في هذه الأيام. وبالتأكيد لن تكون فتاة قادرة على ادّعاء مثل هذه الصفات الحميدة القديمة الطراز...

ولم تتابع العمة الموضوع، ولكن بليندا كانت تعرفها جيداً لتعلم أنها مستاءة من تصرفات حفيد اخيها غير المحتملة، ولكن هذا اسعدها. فلم تكن تريد أن تتزوج هذا الرجل. وعزّت نفسها بأنها لو لم تحصل على المال، فإن أمها لن تستفيد الراحة المالية لأنها لا تعرفها أصلاً.

وتركتهما السيد دونيكان لوحدهما، فقال غارث:

- آمل أن تتذكري الأوقات التي أستخدم فيها المطبخ آنسة هامر..

- لا تقلق سيد غاردنر. سأتذكر. فعقاب النسيان سيكون فظيعاً!

وضحك وتحول وجهه الوسيم القاسي القسمات إلى وجه دافئ. وكان لهذا التحول تأثيره على سرعة نبضات قلب بليندا. وفكرت: الرجل من جنس البشر على كل الأحوال! ولكن هذه المظاهر البشرية لم تدم طويلاً وعاد إلى سخريته عندما قالت له:

- ليس لديّ نية الصدام معك بأية طريقة. في الواقع سأكون مسرورة لو تدبّرنا أمرنا بحيث لا نلتقي حتى على مسافة للكلام.

- وهل وجودي ثقيل عليك؟ إذاً الشعور مشترك آنسة هامر! أرجوك أن تبقي بعيدة عن طريقي، فأنا رجل مشغول دائماً، ولا أستطيع إبقاء باب مكتبي مقفلاً وأنا في مثل هذا المركز. وسأمضي معظم امسياتي في غرفة المطالعة على مكتبي. وكل ما أطلبه منك الهدوء، وإذا كنت ستشاهدين التلفزيون أو تستمعين للراديو، فاخفضي الصوت قدر المستطاع، وسيكون كل شيء على ما يرام.

وابتسمت متحدية «وإذا لم أفعل؟» وقطب محدقاً بعينيها الزرقاوين الواسعتين فأردفت «لن تستطيع طردي... أليس كذلك؟».

- أستطيع أن أقابل الأذى بمثله آنسة هامر، فلديّ وسائلي الخاصة. وقد أكون أكره النساء، ولكن معرفتي بهن أكبر مما تعتقدين. فلا يزال لهن مكان في حياتي، مع أن هذا المكان صغير. واذا احتجتهن للعمل، أستخدمهن، وإذا احتجتهن للمتعة، أعرف أين أجدهن. اذاً.. إذا



ازعجتيني زيادة أو دفعتيني زيادة، فيجب أن تعرفي ماذا ستوقعين...

وابتسمت له بعذوبة «لقد أخفتني سيد غاردنر، لقد جعلتني أرتجف» وتقدم نحوها خطوة بطيئة متعمدة، فأسرعت للخروج وأغلقت الباب وراءها، ثم فتحته ثانية وقالت «أحياناً أكون اجتماعية جداً، فأقيم الحفلات الصاخبة للعديد من اصدقائي. ومعظمهم فنانون، وعندما تستحوذ عليهم روح الحفلة، لن تستطيع إسكاتهم.. أنا آسفة» وأغلقت الباب، ثم فتحته ثانية لتقول «سترحب بك دوماً إذا انضممت إلى حفلاتنا» وأقفلت الباب وهربت إلى غرفتها قبل أن يتمكن من الرد.

يوم سفر السيدة دونيكان قالت لابن اخيها إن السيدة هوغند التي تنظّف المنزل ستستمر بالحضور مرتين في الأسبوع ولكنه قال:

- لا لزوم لها. فأنا قادر على استخدام المكنسة الكهربائية.

- هنا أكثر من دفع ماكنة كهربائية أيها الفتى فوق السجاد. وإذا لم تأتي السيدة هوغند، فستترك الأمور لبليندا لتجد نفسها تنظف وتنفض الغبار وتلمّع الأثاث. وأنا أعرف طرق الرجال.. يقصدون عملاً ويبدأون بشكل حسن، ولكن بعد ذلك... وعاملا الحديقة سيستمران في عملهما، أجرة الثلاثة مع المحامين وسيرسلون لهم أجورهم كل أسبوع.

عند البوابة، والخادمة ليديا تنتظر في السيارة، التفتت اليهما غامزة: «وكل ما عليكما أن تفعلا، هو أن تتعلما كيف تعيشان معاً، وهذا هو الزواج في الحقيقة». وضحك ابن اخيها عالياً وقال:

- لقد قلت لك من قبل، انت عجوز ماكرة. ولكن ليس كل حيلك ستنجح، فلست مستعداً لتغيير عادات حياتي، بأن أغير معاملتي للنساء واحمل أعباء زوجة لمجرد أن انقاد إلى حبك للخير الذي في بعض الأحيان تقوده العاطفة فقط.

- انت عنيد يا غارث. ولكنني أعند منك، أنا احب القطط، وانت لا تحبها، ومع ذلك فأنت مصمم أن تستفيد منك القطط، أليس

كذلك؟ وهل ستضع استفادة القطط من الثروة قبل مصلحة هذه الفتاة؟ لا أصدق يا غارث. أعرفك وأنت طفل، وأنت لست شريراً كما تحاول ان تبدو. إنه ليس شريراً يا بليندا، حقيقة!

وضحكت بليندا «سيلزمني الكثير لأقتنع بهذا!».

ـ استمع إليها يا غارث، لقد بدأت بتمزيق صفحات كتابك. لقد قابلت اخيراً من هي ندٌ لك. ولن تجد سهولة في اكتسابها كما تعتقد.

وقال بيرود «لن أحاول حتى أن أفعل».

عند البوابة عانقته وطلبت منه أن ينحني لتقبله. وقبّلت بليندا والدموع في عينيها:

ـ لقد كنتي لي كالحفيدة يا عزيزتي، لقد كنت عجوزة مزعجة وكنت لطيفة معي، وشعرت معك بأنني أصغر عمراً. استمري في رسمك. والمال الذي ستحصلين عليه مني سيساعدك كثيراً يا عزيزتي.

وهزت بليندا، رأسها ولم تستطع ان تتكلم فتابعت العجوز قولها:

ـ قد لا تريني ثانية، وأنت أيضاً يا غارث. دعوني أراكما معاً. ضع ذراعك حولها. دعوني أرى كيف يبدو منظركما معاً لأحمل الصورة في ذهني إلى الجهة الثانية من العالم.

وببطء محاولاً عدم إظهار ضيقه، أطاعها، واستجابت بليندا عندما لمسها «عانقها يا غارث، لمرة واحدة، لأجلي أنا يا ولدي العزيز، سأكون مسرورة أكثر مما أستطيع التعبير عنه». وتمتم «أنت عجوز ماكرة» واستدار لبليندا ووضع ذراعاه حولها وجذبها نحوه ووضعت يداها حوله، وبقيا هكذا، وبدا لبليندا أنه وقت طويل، طويل لجعل جسدها حاراً ويرتجف إلى أن احترق وجهها بالارتباك، ثم بالغضب.

لم يكن هناك لزوم لهذه الإطالة، فلم يكن هذا ما طلبته السيدة دونيكان. لا بد أنه يفعل هذا لمجرد إزعاجها، وقد نجح. ولكنها



علمت أن عليها أن لا تظهر الانزعاج، ليس أمام السيدة العجوز التي من الممكن أن لا يراها ثانية.

وعندما تركها آخر الأمر، استدارت بليندا مبتعدة عنه باتجاه العجوز وهي تبتسم، لتشاهد سرور ايلين الزائد. وقالت العجوز:

ـ ستة أشهر! كم كنت غبية! كان يجب أن أشترط ثلاثة فقط.

هذا ما سيستغرقه الأمر بينكما. لقد أصبحتما في منتصف الطريق إلى الحب بالفعل!

وقالت بليندا بسرعة «سيدة دونيكان.. إنه ليس...».

ولكن ذراع غارث حول وسطها اشتدت عليها محذرة، وقال مبتسماً:

ـ قد تكونين على حق يا عمتي ايلين.. قد تكونين على حق تماماً.

ولوحت العجوز بيدها مترددة، وأطالت النظر إليهما، قبل أن تخرج نهائياً من حياتهما...

## ٢ ـ عدو النساء

ما إن ابتعدت السيارة عن الأنظار، حتى أفلت غارث ذراعه من خصر بليندا، وابتعدا واخذا يحدقان ببعضهما.

وتساءلت بليندا في نفسها، ماذا تنتظر؟ عرض صداقة.. هدنة.. غفران، غفران عن ماذا؟ ماذا فعلت بحق السماء؟

لم يبدو شيء في عينيه السوداوين المتفحصتين يريحها، او يلطّف من اضطرابها. بل كان هناك تفحص غير متحيز وغير شخصي لوجهها تبعه تفحص لشكلها. هل يحاول أن يقرر كيف يصنّفها، في سبيل أن يقرر كيف سيستخدمها في المستقبل؟ وبأية صفة... للعمل.. او للتسلية؟... هذان هما الوظيفتان التي قال إنه ينظر إلى المرأة من خلالهما في حياته. هل تتناسب مع نظرته للأشياء ام أن عليه أن يخلق لها تصنيفاً جديداً يناسبها؟

واستدار نحو المنزل وأخذ يقرأ بسخرية الكلمات المنقوشة على اعلى مدخله والمطلية بالذهب «من قُدّر له أن يدخل هذا البيت عليه أن يتخلى عن عدوانيته وأن يفرد جناح الإلفة والمحبة» ونظر اليها بسخرية قائلاً «هذا مدعاة للسخرية، أليس كذلك؟ رسالة كتبت منذ عقود من الزمن ولكن وكأنها وضعت هنا خصيصاً لنا... حسناً آنسة هامر المنزل لنا، لك ولي.. هل نطيع أمر السيد... لا بد أنه سيد من كتب هذا،



فلا يوجد امرأة تستطيع التفكير بهذا الكلام.. الذي كتب هذا الكلام منذ مئة سنة أو أكثر، رجل مسالم، كتبها بماء الذهب كأمر موجه لكل الداخلين؟ وهل سنعيش بتوافق تحت السقف القديم «لبيراين تورب»؟».

ـ لن أراهن على ذلك سيد غاردنر.

ـ بصراحة، ولا أنا كذلك.

ونظرت بليندا إلى المنزل بعيني من يملك، او بالأحرى نصف مالك، ولم تتمالك أن تخفي شعوراً بالفخر. فماذا يهمها حتى ولو أن حصتها في الملكية لن تدوم أكثر من ستة أشهر؟ فلو أنها عاشت هذه الستة أشهر بكامل حيويتها، ورسمت كما لم ترسم من قبل، لأصبحت هذه الفترة القصيرة من حياتها تاريخاً لن تنساه أبداً.

ولم تشاهد بليندا غارث لبقية ذلك اليوم. المنزل كان كبيراً، وتوزعاه كلٌ في جناح خاص له. وكان من السهل أن يمضي شخصان مختلفان في حياتهما اياماً طويلة دون أن يلتقيا، حتى ولو كانا يعيشان داخل نفس الجدران.

مع أن اليوم التالي كان يوم الأحد وبليندا عادة تبقى في الفراش إلى وقت متأخر، إلا أنها ذلك الصباح استيقظت باكراً، وارتدت ثياباً عادية، وركضت نحو المطبخ لتحضر طعام الإفطار. وهنأت نفسها لأنها استطاعت أن تستبق وجود غارث في المطبخ، وحضّرت بعض الكورنفليكس والحليب مع السكر وجلست إلى طاولة المطبخ الخشبية الكبيرة لتناولها.

ودخل غارث بعد بضعة دقائق، وأظهر الامتعاض لوجود رفقة معه في المطبخ. ورفع حاجبيه وقال بأدب مصطنع «أعتقد أنك على وشك الانتهاء من طعامك آنسة هامر».

ـ آسفة، ولكنني لم أنتهِ بعد، فلم أصنع قهوتي.. لقد حضرت

مبكراً سيد غاردنر!

- لا.. بل أنت من تأخرتي آنسة هامر.

ونظرت إلى ساعتها، ووجدت أنه غير مخطىء. ودفعت كرسيها بقوة فأوقعتها على الأرض، وأقفلت الكتاب الذي كانت تقرأه، ثم جمعت أطباقها ووضعتها في المغسلة، وقالت «سأغسلها فيما بعد» ثم خرجت.

- وماذا عن قهوتك؟

- لن أتناولها..

- لا تتصرفي وكأنك ضحية. تناولي قهوتك.

وأرادت أن ترفض شاكرة. ولكن لماذا لا تتناول قهوتها؟ وبينما هي منهمكة في تحضير القهوة، وقف غارث ينظر إلى الحديقة عبر النافذة. ثم صبتها وانتظرت وهي جالسة على الطاولة لتبرد. وأخذت تراقب غارث وهو يحضر إفطاره. محاولة التظاهر بأنه غير موجود. رائحة البيض واللحم المقلي، أثارت شهيتها، ولم تستطع إبعاد نظرها عن الطبق الذي حضّره. ولكنها استطاعت في النهاية أن تغرق ذهنها بالكتاب أمامها، منتظرة القهوة لتبرد.

- هذا مضرٌ لك..

- وما هو؟

- القراءة وانت تتناولين الطعام. فهذا يتعارض مع عملية الهضم.

- أنا لا أتناول الطعام، لقد انتهيت، والقهوة ليست طعاماً.

- إنها جزء من وجبة طعام.

وابتلعت ما تبقى من القهوة، وكادت تشهق للسعتها الحارة في حنجرتها، ثم غادرت الطاولة. وبينما هي تفعل، أخرج كتاباً من جيبه وفتحه أمامه كما كانت تفعل:

- هذا مضرٌ لك. ستقول لك هذا عملية هضمك طوال الصباح!

وانفجر ضاحكاً وهي تستدير لتتصرف.



صباح الاثنين، اصطدمت مرة أخرى في المطبخ عند الإفطار. وحدّق بفستانها المرتب الجميل، وبوجهها المزيّن بدقة، وبشعرها الطويل الأشقر المضموم بضفيرتين إلى الخلف، وعلى الرغم من ألوان ثوبها الزاهية، إلا أنها كانت تبدو كمعلمة تماماً. وبدا أن مظهرها قد أدهشه. هل يعتقد أنها غير محترمة تماماً لأنها لم ترتدي ثياباً عادية للمدرسة؟ لو أنه سألها لكانت قالت له إنها تحتفظ بمظهرها كفنانة للأمسيات والعطلات.

وتناولا الطعام بصمت، ونظر إلى طعامها العادي، ونظرت بدورها إلى طبقه من البيض واللحم. ولاحظ نظرتها فابتسم وقال «هل ترغبين في شيء منه؟» وهزت رأسها بالنفي، فأردف «إذاً توقفي عن التحديق ككلب يجلس على رجليه ينظر بتوسل».

- بإمكاني أن أحضّر نفس الطعام لو شئت. ولكنني أراعي رشاقتي.

- ومن لا يفعل هذا؟

هذا الرجل يبدو واثقاً بنفسه، ولا يحتاج إلى أحد، وخاصة إلى امرأة. ولا يجب عليها أن تنجذب إليه. يجب أن تجبر نفسها على كراهية تصرفاته المسيطرة.. لا أن تنجذب لها...

وجمع أطباقه ووضعها في المغسلة وقال:

- لا تلمسيها آنسة هامر سأغسلها عندما أعود في المساء!

- لن ألمسها أبداً. فأنا لست خادمتك، ولا مستأجرة في هذا المنزل، فأنا أملكه... معك.

- أوافق معك.. لذا أتمنى بما أنك شريكة لي في.. هذا... المشروع، أن تقومي بحصتك من الواجب وتبقيه مرتباً ونظيفاً بطريقة متمدنة...

- وماذا تظنني؟ أظنك تعتقد لأنني فنانة، فأنا أكره النظافة والنظام، وأتفرغ بالأوساخ والفوضى.

- أنت قلتي آنسة هامر.. وليس أنا.

- ولكن هذا ما عنيته بقولك.

- وأفترض أن عليك المشاركة بالعناية به أيضاً، المحافظة عليه وإصلاحه عند الضرورة.

- وهل تعني.. مالياً؟

- وما سواه؟

- ولكنني...

- ولكنك ماذا؟ لا بد انك تتقاضين مرتباً؟ المعلمون هذه الأيام رواتبهم ليست سيئة. أليس كذلك؟

- الصغار لا يُدفع لهم جيداً.

- ولكنك تعيشين هنا دون دفع إيجار. ولا مصاريف عندك سوى الطعام والملابس، والأدوات الخاصة بنشاطك الفني؟

- أنا.. أنا أساعد والدتي.

- أتعنين أنك ترسلين لها المال؟

- أجل.. نصف مرتبي.

- فهمت.. أليس عندك والد.

- والدتي أرملة. والدي توفي منذ ثمان سنوات، بعد سنة من ولادة شقيقي.

- إذاً.. أنتم ثلاثة في العائلة؟

- لا.. بل خمسة، فلديّ شقيقتان واحدة في الحادية عشر والأخرى في الثالثة عشر، لذا لا مكان لي في البيت لأنه صغير. وعندما حصلت على وظيفة المدرّسة هنا، لم تأسف والدتي على رحيلي، فقد أصبح المكان أوسع لمن بقي.

- وهل تعيش والدتك على مساعدتك فقط؟

- إنها تعمل دواماً كاملاً في مخزن حكومي، ومع ذلك فالمال الذي تكسبه لا يكفيهم ثمن ملابس وطعام، ناهيك عن إيجار المنزل. وهكذا



فأنا مضطرة لمساعدتها. لا حاجة بك للقلق سأدفع ما يتوجب عليّ هنا. ولن أكون عبئاً عليك، وكشريكة، يجب أن أدفع نصف الفواتير.

- يا فتاتي العزيزة، من الواضح أن العبء المالي الذي يطوق عنقك لا يتركك في وضع تستطيعين الوفاء بهذا الوعد. من الآن وصاعداً، وطالما كان ذلك ضرورياً سأدفع الفواتير بنفسي. ولكن صريحين، ستكونين عبئاً على رقبتي.

وصرخت به وهو يخرج من المطبخ «لن أكون عبئاً عليك، لن أكون أبداً طالما أنا حية» ونظر إليها وهو يبتعد «لن أراهن على هذا أبداً».

في المدرسة، وفي غرفة الفنون، أخبرت بليندا صديقها المدرّس براد، عن هبة السيدة دونيكان لها، فأخذ يصفّر، وعندما قالت إنها تتشارك المنزل مع حفيد اخ السيدة دونيكان قال براد:

- لوحدك؟ انتما فقط؟ اعتقد أنك تعرفين ماذا سيقول الناس؟

- ليقولوا ما يريدون.. سيكونون على خطأ تماماً.

- ولكن الناس سيتوصلون إلى استنتاجات خاصة مهما أنكرتي. وسيكون امراً واقعاً أنك تعيشين معه.

- لو عرفت الرجل لعرفت كم سيكون مضحكاً هذا الافتراض. إنه ليس إنساني حتى. انه يكره الزواج اكثر من اي شخص آخر.

- وهل يكره النساء؟ ومع ذلك يسكن مع امرأة في منزل واحد؟

- إنه منزلنا معاً. سيضطر إلى العيش معي ستة أشهر على الأقل... لأن...

وتوقفت عن الكلام، فلا تستطيع أن تقول حتى لبراد الشرط الذي فرضه ايلين دونيكان، وتابعت القول: «لأنني بعد ذلك سوف أبحث عن مكان آخر أعيش فيه».

- ولكن لماذا يا بليندا؟ لا يمكنك طلب أكثر من هذا، منزل قديم وجميل، وفيه كل ما هو فاخر! وهو ممتاز لفنانة مثلك!

ـ لا فرق عندي! سوف أتركه.

وسمعا صوت اقدام في الممر تنبىء ببدء موعد التدريس، فقالت له:

ـ أنت لم تزرني في المنزل بعد؟ ليس لديّ عمل هذا المساء. أتحب أن تزورني؟

ـ الليلة؟

ـ أجل.. تعال حوالي السابعة.. سيكون الساكن الآخر قد تعشى واختفى في غرفة مكتبه.

ولكن عندما وصل براد، لم يكن غارث قد تعشى، حتى أنه لم يكن قد عاد إلى المنزل بعد. وعلى الرغم منها، أخذت تفكر به ثم بدأت تقلق. ووبخت نفسها على اهتمامها به. ليس من شأنها ما يفعله غارث غاردنر في اوقات فراغه، فلا بد أنه تعشى في المطعم ليوفر على نفسه عناء تحضير العشاء بنفسه.

وبدلاً من أن تستقبل براد في جناحها، أخذت تجول معه في المنزل ليشاهده. وضحك عندما قرأ الكتابات المتعددة فوق الأبواب، وأعجب بالأثاث الاثري، وبالآنية الصينية الرائعة، وبالرسومات المعلقة على الجدران، وأخذ يتفحصها آملاً، وهو يمزح، أن يكتشف قطعة أصلية بينها لرسام مشهور.

ـ هل أنت مدركة أن بعض هذه الاشياء ثمينة جداً؟

ـ أنا شريكة في المكان فقط، ولا أملكها، وبالنسبة لي فهي لا تزال ملك للسيدة دونيكان، ولكن حتى لو أن في نيتها أن تشارك في هذه أيضاً، فلن يهمني الأمر. سأنتقل من هنا بعد بضعة أشهر. أتذكر هذا؟

ـ لا بد أنك مجنونة!

ودخلا المطبخ لتحضر القهوة وأخذ ينظر من حوله، إلى كومة الاطباق في المغسلة:



ـ هل استخدمتها أنت أم شريكك؟

ـ لم أستخدمها أنا.

ـ ألن تكوني فتاة لطيفة وتغسليها؟

ـ لن أجلب لنفسي وجع الرأس؟ لقد قال أن أتركها، وهكذا سأفعل.

وأنهت صنع القهوة، وطلبت من براد أن يحملها إلى فوق، وأطفأ سيجارته في منفضة على الطاولة وحمل الصينية عنها. ووقف عند باب المرسم.

ـ واو...! إنه فاخر!.

ووضع الصينية على الأرض، اذ لم يكن هناك ما يضعها عليه. الطاولات كانت مغطاة بالفراشي وأدوات الرسم وأوراق الرسومات النصف منتهية. وبينما كانت بلينداً تصب القهوة وهي جاثية أخذ براد يتجول وهو يشعل سيكارة أخرى، قائلاً:

ـ ألا تحبين ان يشاركك هذا المرسم فنان مناضل آخر، صديق وزميل واسمه براد شرونغ؟ ستفسدين نفسك لو عشتي في هذا الجو المترف طويلاً.

ـ طالما لديّ والدة وشقيق وشقيقتان يعيشون في ظروف صعبة، لا اظن أنني سأفسد نفسي..

ـ إذاً فلن ترغبي في مشاركتي هذا الدلال.

فابتسمت له وقالت «لا يمكن هذا يا براد».

ـ ألن يوافق الأخ الأكبر؟ هل هو متزمت، مستقيم مثلك؟

ـ لا أعرف شيئاً عن أخلاقه. كل ما أعرفه أنه يكره النساء، وعنده «كره» خاص لي على الأخص.

ـ لا بد أنه رجل من حجر. فتاة جميلة في المنزل، تملك الجاذبية حتى تصة رأسها، ولا يستطيع أي رجل، أن يقاومها، ومع ذلك يتجاهلها؟

- إنك مخطىء، فهو يعتبرني وباء، إزعاج يجب أن يحتمله لفترة معينة.

- والى متى؟

- إلى أن أجد لنفسي مكان آخر.

عندما غادر براد، حوالي العاشرة، لم يكن غارث قد عاد بعد. اطباق فطوره كانت لا تزال حيث هي. من السخافة أن رجلاً في مثل مركزه يجب أن يغسل اطباقه بنفسه. وبينما هي تغسل فناجين القهوة. قررت أن تغسل أطباقه، وإلا ستبقى كل الليل كما هي. وأخذت تغسلها، وعند انتهاء آخر طبق سمعت صوت المفتاح يتحرك في قفل الباب. وأحست بليندا بشعور لص يضبط في مسرح الجريمة فوضعت الطبق من يدها واستدارت ووقفت وظهرها إلى المغسلة وكأنها تخفي آثار الجريمة.

وبدا تعباً وهو يدخل المطبخ، وتحركت عيناه منها نحو المغسلة. وحملته رجلاه نحوها وعندما وصل إلى مواجهتها قال:

- ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت من الليل؟

- كنت... كنت أنظف فناجين القهوة.

- أطباق إفطاري.. لقد اعتقدت هذا... الم أقل لك أن تتركيها؟ قلت لك سأنظفها بنفسي..

- الوقت متأخر سيد غاردنر. وفكرت أن انظفها عنك. اعتقدت أنك ستكون تعباً...

- أنا تعب فعلاً... لقد عملت إلى وقت متأخر. ولكنني أتأخر عادة في عملي ودائماً أكون تعباً، ولكنني معتاد على هذا، ومعتاد أيضاً على تنظيف اطباقي بنفسي حتى ولو بعد منتصف الليل.

- اعتقدت.. أنك ستكون مسروراً. فعلت هذا للمساعدة...

- في المستقبل ستساعديني في ترك أشيائي دون أن تمسيها آنسة هامر،



وبأن تسمحي لي بان أدير حياتي كما اريد وبالبقاء بعيداً عن طريقي بالكامل. فأنا قادر على تدبير نفسي دون تدخل امرأة أو مساعدتها وساستمر هكذا.. هل فهمتي؟

- أجل فهمت جيداً أنك ناكر للجميل، غير متمدن، رجل لا يحتمل لا يعرف معنى كلمة «الأدب». ولا أعرف كيف أن عمتك كانت تفخر بك. ولا أعرف كيف أحبتك. أنت اكثر مخلوق كريه لا يطاق قابلته في حياتي. أفضل صفاتك أنك تكره المرأة، لأن أية امرأة قد تميل إليها ستكون حكيمة إذا استدارت عنك وهربت منك في الاتجاه المعاكس...

ووضعت يدها على خدها المحترق، ثم على رأسها المتألم، ثم على فمها، لأنها الطريقة الوحيدة لمنع تدفق الإهانات لهذا الرجل الذي يقف ويداه في جيوبه، ينظر إليها بعينين تضيقان حتى كادتا ان تختفيا. وقال:

- أظن أنك يا آنسة هامر كنت تعملين. هل تدخنين وانت ترسمين؟ وهل تدخنين وانت تغسلين الاطباق؟

- انا لا أدخن سيد غاردنر، لقد كان عندي زائر.

- رجل بالطبع. شخص يدخن. مثل المدخنة كما أعتقد. لأن المنزل كله عابق برائحة الدخان.

- اجل إنه رجل. وهو يدخن، وبما أنه ضيفي، لا أستطيع عمل شيء بهذا الخصوص.. إنه زميل لي.

- فنان آخر؟ يدرّس في نفس مدرستك؟ إذاً كان جيداً مني أن أتأخر في الحضور الى البيت؟ وكأنني كنت أعرف انك تمتّعين نفسك!

وأعطى الكلمة تركيزاً ذا معنى جعلها تغضب.

- إذا كنت تفكر في اتجاه معين، فأنت مخطىء.

- لا أعتقد أنني مخطىء في مثل هذا الوقت من الليل! أنا عادة أذهب

إلى ما تأخذني أفكاري إليه. وهي تقودني أحياناً إلى اماكن شيقة وتعطيني أفكاراً غريبة.

ـ على كل... ضميري مرتاح... فهذا بيتي كما هو بيتك. وإذا كنت تظن بي مثل هذه الظنون، لماذا لا تكتب إلى عمتك الكبيرة وتخبرها كم أنا دون أخلاق، وأنني أعطي المنزل سمعة سيئة، وأنك ستطردني...

ووضع يداه على كتفيها «سأطردك.. خارج المطبخ.. أنت تعيّة كثيراً، ولا تعرفين ماذا تقولين، وبالكاد قادرة على الوقوف على رجليك».

وحرّكها بالقوة نحو الباب، ولكنها قاومته وحاولت تخليص نفسها... بينما كانت ذراعه التي تمسك خصرها تشتد عليه وعندما التفتت مستديرة وجدت نفسها تواجهه، كان قريباً جداً منها حتى شعرت بأنفاسه على جبينها. والتقى الغضب في عينيها بالغضب في عينيه، واخذا يحدقان ببعضهما، وبدا منصدماً بقربها من بعض بنفس قوة صدمتها.

وأجفلها الشعور بأنهما معاً متلاصقين وخائفين، ومع أنها جذبت نفسها من قبضته بيأس، فقد أحست بشعور عميق يغمرها برغبة لأن تتلاقى معه في عناق يماثل ما جرى بينهما يوم سفر عمته.

وبينما هي تصعد السلم نحو غرفتها أطل من باب المطبخ وصاح:

ـ شكراً لك على تنظيف صحوني...

ولكن يبدو أن السيد غاردنر كان يفكر بطريقة مختلفة، فهو يرفض أن يلقي بالاً للإشارات المتكررة بأن بليندا لا ترغب في رفقته، ففي مساء اليوم التالي بينما كانت مستغرقة في رسم منظر ريفي، دخل عليها المرسم، ولكنها لم تحيه، بل شعرت بالتوتر وهو يقترب منها. عندما يقترب هذا الرجل تشعر بتجاوب مخيف وغير إرادي بداخلها، وما عليه



سوى أن يدخل نفس الغرفة التي تتواجد فيها حتى يحدث لها هذا.

ووقف إلى جانبها يراقبها. وكان عليها أن تحارب التوتر الذي يسببه لها وجوده، لأنها لا تستطيع أن تكون متوترة وأن ترسم في نفس الوقت. وبعد برهة قال: «أنت تغشين» ونظرت إليه متسائلة. فأشار إلى صورة فوتوغرافية للمنظر الذي تقوم برسمه «أنت تقومين بنسخ هذا».

ـ إنه ليس غشاً. لقد كان يعتبر هكذا في الماضي، ولكن الآن يُدعى التصوير الواقعي.

ـ كلمات جيدة.. ولكنه لا يزال غشاً.

ـ إنه ليس غشاً. ولماذا يكون غشاً أن تنسخ صورة فوتوغرافية بدل أن تسافر الى الريف وترسم نفس المنظر؟ بطريقة ما سيظل الأمر «نسخاً». في كلا الحالتين أنا أنقل المنظر كما أراه، لا كما التقطته الصورة.

ـ وهل انت فنانة تجارية؟

ـ بطريقة ما.. ربما.. ولكن ليس من سوء بهذا الأمر.

ـ اعتقدت أن الفن التجاري ينظر اليه الأصليون على أنه فن سيء.

ـ في الأيام القديمة، كان على الفنان ان يكون له سيد، شخص مستعد لدعمه، ومثل هذا الشخص عادة ما كان يصر على أن يظهر في الرسم حتى ولو ضمن مجموعة من الناس. ومثل هؤلاء صعب إيجادهم في مثل هذه الأيام، لذا فعلى الفنان أحياناً أن يرسم من أجل المال، فعلينا أن نعيش، وهكذا حلت الروح التجارية مكان الرعاية والإحسان، وأصبح الفن التجاري محترماً.

ـ إنه تزويق جميل للكلام، ولكنني فهمت ما تعنين.. وهل تحبين تعليم الفن للأطفال؟

ـ أحبه كثيراً.. تقول لطفل «ارسم». بعضهم يرسم والبعض لا

إلى ما تأخذني أفكاري إليه. وهي تقودني أحياناً إلى اماكن شيقة وتعطيني أفكاراً غريبة.

ـ على كل... ضميري مرتاح... فهذا بيتي كما هو بيتك. وإذا كنت تظن بي مثل هذه الظنون، لماذا لا تكتب إلى عمتك الكبيرة وتخبرها كم أنا دون أخلاق، وأنني أعطي المنزل سمعة سيئة، وأنك ستطردني...

ووضع يداه على كتفيها «سأطردك.. خارج المطبخ.. أنت تعبة كثيراً، ولا تعرفين ماذا تقولين، وبالكاد قادرة على الوقوف على رجليك».

وحرّكها بالقوة نحو الباب، ولكنها قاومته وحاولت تخليص نفسها... بينما كانت ذراعه التي تمسك خصرها تشتد عليه وعندما التفتت مستديرة وجدت نفسها تواجهه، كان قريباً جداً منها حتى شعرت بأنفاسه على جبينها. والتقى الغضب في عينيها بالغضب في عينيه، واخذا يحدقان ببعضهما، وبدا منصدماً بقربها من بعض بنفس قوة صدمتها.

وأجفلها الشعور بأنهما معاً متلاصقين وخائفين، ومع أنها جذبت نفسها من قبضته بيأس، فقد أحست بشعور عميق يغمرها برغبة لأن تتلاقى معه في عناق يماثل ما جرى بينهما يوم سفر عمته.

وبينما هي تصعد السلم نحو غرفتها أطل من باب المطبخ وصاح:

ـ شكراً لك على تنظيف صحوني...

ولكن يبدو أن السيد غاردنر كان يفكر بطريقة مختلفة، فهو يرفض أن يلقي بالاً للإشارات المتكررة بأن بليندا لا ترغب في رفقته، ففي مساء اليوم التالي بينما كانت مستغرقة في رسم منظر ريفي، دخل عليها المرسم، ولكنها لم تحيه، بل شعرت بالتوتر وهو يقترب منها. عندما يقترب هذا الرجل تشعر بتجاوب مخيف وغير إرادي بداخلها، وما عليه



سوى أن يدخل نفس الغرفة التي تتواجد فيها حتى يحدث لها هذا.

ووقف إلى جانبها يراقبها. وكان عليها أن تحارب التوتر الذي يسببه لها وجوده، لأنها لا تستطيع أن تكون متوترة وأن ترسم في نفس الوقت. وبعد برهة قال: «أنت تغشين» ونظرت إليه متسائلة. فأشار إلى صورة فوتوغرافية للمنظر الذي تقوم برسمه «أنت تقومين بنسخ هذا».

ـ إنه ليس غشاً. لقد كان يعتبر هكذا في الماضي، ولكن الآن يُدعى التصوير الواقعي.

ـ كلمات جيدة.. ولكنه لا يزال غشاً.

ـ إنه ليس غشاً. ولماذا يكون غشاً أن تنسخ صورة فوتوغرافية بدل أن تسافر الى الريف وترسم نفس المنظر؟ بطريقة ما سيظل الأمر «نسخاً». في كلا الحالتين أنا أنقل المنظر كما أراه، لا كما التقطته الصورة.

ـ وهل انت فنانة تجارية؟

ـ بطريقة ما.. ربما.. ولكن ليس من سوء بهذا الأمر.

ـ اعتقدت أن الفن التجاري ينظر اليه الأصليون على أنه فن سيء.

ـ في الأيام القديمة، كان على الفنان ان يكون له سيد، شخص مستعد لدعمه، ومثل هذا الشخص عادة ما كان يصر على أن يظهر في الرسم حتى ولو ضمن مجموعة من الناس. ومثل هؤلاء صعب إيجادهم في مثل هذه الأيام، لذا فعلى الفنان أحياناً أن يرسم من أجل المال، فعلينا أن نعيش، وهكذا حلت الروح التجارية مكان الرعاية والإحسان، وأصبح الفن التجاري محترماً.

ـ إنه تزويق جميل للكلام، ولكنني فهمت ما تعنين.. وهل تحبين تعليم الفن للأطفال؟

ـ أحبه كثيراً.. تقول لطفل «ارسم». بعضهم يرسم والبعض لا



LILAS.COM

يعرف كيف يبدأ، فتقول له ارسم صديقك، او أمك. وهذا الأمر يدفعهم للعمل.

ـ حتى ولو كانت النتيجة رديئة؟

ـ لا يهم.. فعل الأقل هي بداية. ولكنني أفضّل تعليم الأكبر سناً. ففي الصف الخامس أستطاعوا إما تحقيق مستوى فني او الانسحاب. وتستطيع تطوير نوع خاص من التفاهم معهم، والتحدث إليهم على قدم المساواة، فالمعلم والتلميذ قد يكونان على نفس المستوى من الذوق الفني.

ـ تجعلينني أبدو جاهلاً. ويبدو عليك أنك استاذة ماهرة.

واحمّر وجهها وشكرته على تقديره غير المتوقع. فقال لها:

ـ لو طلبت منك، هل بإمكانك أن تعلميني الرسم؟

وتطلعت نحوه لتلتقي بنظرته المتسائلة، وقررت أن تتجنب رداً مباشراً «سيكون ذلك تحدياً. معظم الناس ممكن تعليمهم. وهذا يعتمد على ما لديهم من خيال».

ـ ألا تعتقدين أن لديّ خيال؟

ـ لقد بدأت أشك.

وضحك عالياً ثم وقف خلف اللوحة التي كانت تعمل بها، ونظر إلى وجهها، ثم ترك عيناه تسرحان ببطء فيها، وتحركت باضطراب تتساءل عما سيقول:

ـ اذاً أنا لا أملك الخيال... أستطيع أن اخيلك دون صعوبة لا ترتدين...

ـ حسناً حسناً... لديك مخيلة. وهذا يعني أنني أستطيع تعليمك ان ترسم وربما أن تلوّن أيضاً.. ولكن سعري مرتفع للدروس الخصوصية.

وتحرك ببطء ليقف إلى جانبها «أنت تغرينني بان الزمك بتعليمي. وربما بعد حصص الدرس أستطيع أن اعلّمك شيئاً بدوري» وحركت



رأسها حتى غطى شعرها وجهها المتورد، وتابع «أتذكرين الوضع بيننا آنسة هامر؟ إنه وضع متفجر. وأنا احذّرك بأن لا تشعلي الفتيل، فعندما يبدأ الاشتعال سيكون من الصعب، إذا لم يكن من المستحيل، إطفاءه. ولن يكون لديك من تلجأين إليه أو مكان تهربين إليه».

ـ لقد اعتقدت أنك تكره النساء سيد غاردنر...

ـ أكره النساء... اجل.. فالمرأة ليس لها مكان دائم في حياتي... ولكنني لا أنكر أنهن مفيدات أحياناً...

وابتعد عنها وأخذ يتجول متفرجاً على رسوماتها، كل واحدة متطورة أكثر من غيرها، وقال:

ـ نتائج أعمالك تذهلني. هل لديك نصير غني كما تسمّينه.

ـ إنها السيدة دونيكان عندما كانت هنا، لقد كانت دوماً تدعمني. مع أنني كنت أعيد إليها ما تدفعه حتى آخر قرش. والرد على سؤالك، نعم، حالياً...

ـ أوه وهل هو رجل ام امرأة..

ـ إنه رجل.

ـ لا تقولي من هو.. سأصفه أنا.. إنه رجل رمادي الشعر، يميل إلى السمنة. محفظته منتفخة، ولديه زوجة غير متفاهمة معه. ولذا فهو يدعمك...

وقالت بغضب، وشعرها يتطاير وهي تدير رأسها بقوة:

ـ ماذا تظن بي بالضبط؟

ـ فنانة، بأخلاق الفنانين. ولا تطلبي مني أن أصفهم، فوصفي لهم قد يزعج إحساسك.

ـ انت مخطىء بالنسبة لي سيد غاردنر.. مخطىء.. مخطىء!

ـ حسناً... لقد أوضحت وجهة نظرك... لقد اعتقدت للحظة أن الآنسة الحلوة بليندا هامر، لديها نقطة ضعف مثلنا جميعاً.

- وهل لديك نقطة ضعف سيد غاردنر؟... لا أعتقد أبداً!

- يوماً ما آنسة هامر، هذا الانفجار بيننا سيحصل لا شك... وانت من سيشعل عود الثقاب وليس أنا... حسناً من هو هذا الثري الذي يساعدك مالياً؟

- عمتك لها صديقة زوجها يمتلك مطعماً في المدينة، ولقد شاهدت رسوماتي وأقنعت زوجها بأن أعرضها في مطعمه، واعتقدت أن رسوماتي ستبرز المطعم وتعطيه نكهة خاصة. والرسومات معروضة للبيع، وكل رسم معلق عليه سعره، وبما أن المكان لا يرتاده سوى الاثرياء فإن البيع سائر على ما يرام.

- إنها طريقة ممتازة لدعم مدخولك.

- ولم لا؟

- ولم لا.. بالطبع.. وكيف تأخذين رسوماتك إلى المطعم.. تستأجرين تاكسي؟

- لا.. فلديهما ابن يتولى أمر المبيعات، ضمن اشياء أخرى.

- اه.. اذاً هناك رجل في المسألة.

- ليس بالطريقة التي تظنها.

- إنك تكررين القول بصورة دائمة حتى بدأت أصدق. ما اسم المطعم؟ ليس....

- إنه جيميز.

- اه.. تويل جيميز، الابن يدير الأمور الاجتماعية، العشاء والاجتماعات الراقصة، وما إلى ذلك.

- وهو من يوفر لي النقل.

- وهل هو التالي على لائحة صداقاتك؟ ام أنه، لماله، هو رقم واحد وصديقك في المدرسة رقم اثنين؟

- ليس لدي أفضلية بالترتيب.



وابتسمت ونظرت اليه، لتجد باندهاش أنه ينظر إليها بشيء من الغضب!

- صغيرة وشابة وبريئة ملعونة! أنت لست افضل من بنات جنسك!

وجدت أن من غير المفيد إنكار اتهاماته، لذا عادت إلى فرشاتها ورسمها، وليفكر كما يريد.

- بما أن علاقتنا علاقة غريبة، وبما أن عمتك تظن أننا نتحرك ولو ببطء نحو حالة الزواج.. فهل لي أن اسألك كما سألتني عن وضع حياتك العاطفية؟

- اجل... يمكنك هذا... انت تعلمين أنني عدت حديثاً من الارجنتين... كان هناك امرأة، جميلة وذكية وصديقة مقربة لي. وعندما غادرت كانت مستاءة جداً، إذ كان عليّ أن أتركها، وهذا ما أغضبها.

بدها التي كانت ترسم الغيوم في سماء اللوحة ارتعشت وأعطت الغيوم لوناً اغمق مما كانت تنوي، ثم توقفت وأرجعت الفرشاة ببطء إلى الطاولة، واخذت تنظف يدها بقطعة قماش مغموسة بالمنظف.

- إذاً.. أنت لست في الحقيقة من كارهي النساء الذي تتظاهر بأن تكون؟

- لقد قلت لك إن النساء ليس لهن مكان دائم في حياتي.

- إذاً لقد كانت....

- هذا ليس من شأنك آنسة هامر.

- آسفة. لم يكن لديّ حق لأسألك. أتمنى لو أن عمتك لم تمنحني نصف هذا المنزل، وأتمنى لو انها لم تضع هذا الشرط المستحيل... وأتمنى.. أن اغيب عن الوعي لستة اشهر واستيقظ لأجد القصة كلها منتهية!

- حسناً لو قررتي أن تمضي الستة أشهر بسبات ونوم، فسيكون لديك خيار جيد مع من تمضينه، أليس كذلك؟ من يا ترى من بين صديقيك

هو المحظوظ؟ أهو الفنان الفقير أم الثري؟ ولمعرفتي بالنساء، أراهن على الأخير بكل مالي. فلديه الكثير ليقدمه لك.

ومر اسبوعان من أصل الستة أشهر، وكان أواخر آذار، والربيع مقبل بكل ما يحمله في الجو، والحياة البرية والبراعم المتفتحة، وفي عقول وقلوب بني البشر. وأمضت بليندا ساعات وهي تقف عند نافذة مرسمها ترسم الحدائق التي تحيط بالمنزل، ورسمت العاملان في الحدائق وهما يعملان بنشاط وكأنهما يتسابقان مع الموسم، ورسمت السيدة هوغند، العاملة بالتنظيف. ورسمت مرة رسماً جميلاً لغارث، يداه في جيوبه، وهو يتحدث إلى أحد عمال الحديقة.

ونزل غارث في صباح أحد الايام إلى المطبخ لتناول الإفطار وفي يده حقيبة. ونظرت إليها بليندا بدهشة، تحولت دون تفسير الى خيبة، ثم الى انزعاج. فقد كان مسافراً... ولكن إلى أين؟ إلى الخارج ثانية؟ وكم من الوقت؟.

ـ سأسافر لبضعة أيام.

بضعة ايام... قلبها الذي غاص بين ضلوعها عاد الى الطواف ثانية وهو يخرج الفقاعات مثل زجاجة فارغة رميت إلى البحر، وفي هذه الزجاجة رسالة، رسالة هامة، ولكن لأنها كتبت بالرموز لم تستطع حل رموزها.

ـ مسافر إلى لندن... مؤتمر في المركز الرئيسي.

ـ لقد قالت لي السيدة دونيكان انك تعمل لدى مؤسسة أميركية.

ـ اجل..

ـ ومكتبها في لندن؟

ـ هذا سؤال جيد... لم يكن يجب أن أقول المركز الرئيسي فقط بل المركز الرئيسي لانكلترا. مكتب أميركا في نيويورك.

ـ لقد قالت السيدة دونيكان إنك ستنشيء مصنعاً جديداً هنا.



ـ أجل.. في الواقع فرع جديد للشركة. وأنا رئيس هذا الفرع هنا. سنتخصص في صنع الترانزستورات للكوابل البحرية. يبدو عليك التأثر....

ـ فعلاً... أنا متأثرة جداً.

ـ ألا تعتقدين أنني أمتلك الموهبة؟

ـ لم أقل هذا.. فأنت... بارع وذكي.

ـ وما هي المقدمات التي أوصلتك الى هذا الاستنتاج؟

ـ حسناً... يبدو... عليك الذكاء.

وضحك عالياً، وقال «لا أعلم هل أعتبر هذا إطراء أم إهانة».

إنها الحقيقة... ولم أعنِ بها إهانة.

وأنهيا طعامهما بصمت، وغسل أطباقه، وعندما ذهب وقفت إلى المغسلة تغسل أطباقها. كانت تحب أن تودعه، ولكنها لم تعرف كيف، ولم تكن تعرف حتى إذا كان يريدها أن تفعل. وساد صمت قصير، وظنت أنه ذهب، واستدارت لتجده واقفاً ينظر إليها من الردهة. وقال «إلى اللقاء بليندا».

فابتسمت، وقلبها يتراقص. بكلمة واحدة حطم حاجزاً ما بينهما، وأجابته «إلى اللقاء يا غارث» وابتسم لها.

وأقفل الباب وراءه، وتمنت لو أنها سألته متى سيعود.

## ٣ ـ على حافة الجحيم

عادت بلينـدا من مدرستها إلى بيت مهجور. شعرت بالفراغ وكأنما هو نوع من المشاعر وليس واقعاً. وعلّقت معطفها في الردهة ثم تطلعت نحو السلالم والأبواب المغلقة، تستمع إلى الصمت. لو أنها تستطيع رسم الفراغ. فكيف سيبدو؟ صفحة بيضاء؟ ولكن لا يوجد شيء اسمه فراغ...

من حولها كان هناك أشياء، تذكرها بالحياة وبالحركة، وبالسيدة دونيكان التي عندما كانت تعيش هنا كانت تملأ المكان. تذكرها بنفسها وهي تطير إلى مرسمها عندما تطلب منها السيدة دونيكان أن ترى رسوماتها...

الفراغ...؟ وأخذت ترتعد. كيف للمكان أن يكون فارغاً في وقت يتواجد غارث فيه في كل مكان من حولها. وقع أقدامه على السلم، وجوده في المطبخ معها، وقع صوته وهو يتكلم في المرسم؟ هل أصبحت متعودة على هذا الرجل حتى أنها «تفتقده» بالفعل؟...

لم تكن تشعر بالجوع... فصعدت إلى مرسمها لترسم... ربما بالفرشاة والألوان تستطيع الخروج من هذه الكآبة التي أثقلت ساقيها، وأطاحت بشهيتها.



ومرت بغرفة نوم غارث، ونظرت عبر الباب النصف مفتوح. الغرفة تتخبط في الفوضى، والسرير غير مرتب. كم ستبقى على هذا الوضع؟ حتى السيدة هوغند لا تستطيع التعاطي مع غرفة بهذه الفوضى. وهكذا، وهي تشعر مثل مجرم مبتدىء، يرتعد من توقع أن يلقى القبض عليه، يتطلع حوله يفتش عن طريق للهرب عندما تدعوه الحاجة للنجاة بحياته، دخلت الغرفة!

علاقة ثياب ملقاة على الأرض، ومدت يدها لتلتقطها وكأن لها أسنان على وشك أن تعضها. والتقطت بنطلوناً ملقى على السرير، وطوته ووضعته على رف، ثم ألقت فوقه سترة. ونظرت إلى الخزانة. هل ستجرؤ على فتحها؟ وبما أنها قد بدأت فيما تعمله، لم يكن أمامها بديل آخر.

ووضعت البذلة بين باقي الثياب، والحذاء بين الأحذية الأخرى. وعلّقت ربطات العنق في مكانها المخصص. الفراش... هل تمتلك الشجاعة الكافية لترتبه؟ وهل ستتحمل النتائج مهما كانت؟ هذا السرير لا يمكن أن يبقى هكذا دون ترتيب، إلى وقت لا تعلم مدته، ربما اسبوع او عشرة أيام؟ ببجامته زرقاء اللون، وطوت بنطلون البيجاما وفتشت عن السترة، يبدو أنه لا يرتدي السترة عند النوم...

عندما أنهت ترتيب السرير، نظرت من حولها، وشعرت وكأنه في الغرفة، يراقبها عبر مرآة طاولة الزينة، او مرآة الخزانة، او من المرآة الطويلة المثبتة إلى الحائط. كان وكأنه في كل مكان من حولها، واستدارت لتركض هاربة من الغرفة... من قوته... من الشعور به.. من سيطرة وجوده... وبينما هي تنظر إلى سريره لبضع لحظات، لم تستطع أن تنكر بأنها تتوق إلى عودته...

ومرت ثلاثة أيام، ولم يعد، ولم يتصل، ولم يرسل جواباً، ولا حتى

بطاقة، ولكن لماذا يتصل بها؟ إنها إنما تشاركه المنزل فقط بسبب نزوة من عمته الثرية...

مساء يوم الجمعة أنهى أطول أسبوع أحست به بلينذا، وجاء براد الى المنزل لزيارتها. وجلس في المرسم يراقبها وهي تعدّ الرسمات التي سترسلها إلى العرض في المطعم... كان يجلس إلى طاولة وبداء تمسكان بأطرافها يرقب السماء والغروب والشمس تتحول من برتقالية إلى حمراء داكنة.. وقالت له بلينذا آمرة:

- ابقى كما أنت... لا تتحرك.. سارسمك.

وابتسم، ولم يتحرك، وقال:

- فنان يرسم فناناً.. سارسمك يوماً ما، وأنتقم لنفسي. ولكن للأسف الطريقة التي أحب أن ارسمك بها، لن تسمحي لي بها.

- أحضر لنفسك موديلاً محترفاً، فأنا فنانة مألوفة لك، ولن انفعك..

ووضعت اللمسات الأخيرة على رسمتها، وقال براد:

- إنني أرسم الموديلات طوال الوقت. وأرغب أن ارسمك. ولن اخبر أحداً أعدك بهذا. وسأضع الرسم فوق سريري وأحدق به عندما أستلقي عليه.

وسمعا صوتاً عند الباب، صوت سعال خفيف، وأوقعت بلينذا القلم من يدها. إنه غارث... واحمر وجهها لدرجة الاحتراق، وامتد هذا إلى كل جسدها. كم من السخف أن تشعر بالذنب هكذا، وهما جالسان فقط لا يفعلان شيئاً.! ولكن كم سمع غارث مما كانا يقولانه؟

يبدو أنه الكثير.. فعيناه بدتا باردتان، وقال براد «مساء الخير!» ووضعت بلينذا الرسم من يدها وسارعت لتقدمهما لبعض. وتركهما وخرج.

وقال براد «يا إلهي قد يعتقد أي إنسان أنك زوجته وقد ضبطنا في وضع مشبوه!.. في المرة القادمة عندما يكون حارس طهارتك مسافراً لا



تدعيني لزيارتك يوم رجوعه» والتقط معطفه وخرج... ولحقت به الى السلم «براد، الأمر ليس كما تصورت. أنت تتخيل الاشياء!».

- قد أكون فناناً، ولكنني أبقي مخيلتي تحت السيطرة التامة، وما أشاهده بعينيّ لا أستطيع الشك فيه. هذا الرجل يعتقد أنه يمتلكك!

لم يهمها كم سمع غارث، فليس من حقه أن يدخل إلى مرسمها دون دعوة منها، ولا أن ينظر إليها وإلى ضيفها وكأنهما في أحضان بعضهما. وما شأنه بكل هذا؟

- براد إنه يكره النساء لقد قلت لك هذا...

ولكن براد دخل سيارته وابتعد... وجاءها نداء من الطابق العلوي:

- آنسة هامر!...

- نعم سيد غاردنر؟

- لقد دخل أحدهم غرفتي؟

- أجل سيد غاردنر... لا سيد غاردنر. لقد رتبتها ورتبت الفراش و....

- انا لا أذكر أنني اعطيتك الإذن لترتيب الفراش.

- لا.. لم تفعل سيد غاردنر، ولكنني لم أتحمّل المرور أمام غرفتك ورؤية الفوضى فيها لمدة اسبوع أو أكثر...

- كان بإمكانك إدارة رأسك، أو إقفال الباب.

- في المرة القادمة سأفعل.. في المرة القادمة لن أهتم أبداً لو رجعت تعباً أو جائعاً من رحلتك لتجد الفوضى بانتظارك.. في المرة القادمة، لو تعلمني متى ستعود، لن أكون حتى في المنزل!

- واين ستكونين؟ في منزل صديقك، والاوضاع معكوسة؟ وهل سيكون هو من يرسمك، كما يتوق لأن يفعل؟

- هذا أمر يخصني لوحدي، وليس لديك الحق لتستمع لمحادثتنا.

كان عليها أن تكون غاضبة، وإلا لانفجرت بالبكاء. لقد تطلعت بشوق لعودته، ومع ذلك فهاهما يتشاجران ثانية ما أن وطأت قدماه المنزل، وصرخت به:

- ماذا دهاك! ماذا دهانا؟ ألا نستطيع أن نلتقي، ولو بعد أسبوع، ونكون مرحبين مع بعض؟ حسناً.. أنت لا تحب النساء. انسى انني امرأة. تخيل بأنني من الجنس المختلط، بأنني غير موجودة، أي شيء تحبه، ولكن لا تستمر بالصياح في وجهي، واتهامي، وكأنك تصفعني...

وركضت نازلة الدرج نحو المطبخ. وتبعها، ولكنها وقفت عند العتبة تنتحب، وتقدم نحوها ووضع يداه على كتفيها «بليندا؟» وجففت دموعها فتابع «أن تطلبي من أي رجل أن ينسى بأنك امرأة، أمر مستحيل».

- إذاً من الأفضل أن أرحل.. أليس كذلك؟ بما أن من الواضح أنك لا تتحمل وجودي في المنزل؟

وأخذ يتجول في المطبخ «إذا رحلتي.. فلن ستندمين؟».

وأجابت «سأجد لنفسي مكاناً.. غرفة... سرير في غرفة...».

- وتتخلين عن كل هذا؟... أليس من الأفضل أن أرحل أنا..؟

- ولكن.. ولكن سيكون هذا خطأ. خطأ بالكامل. إنه في الواقع منزلك، وليس منزلي، أجل.. إنه منزلك. لقد أشركتني عمتك به بدافع الرعاية.. لا أستطيع العيش هنا بمفردي... لقد اكتشفت ذلك هذا الأسبوع.

- هل شعرتي بالوحدة؟ الحيين رفقتي؟

وأرادت ان تعترف، ولكن سيكون هذا نهاية كل شيء، لن تستطيع أن تبقى هنا لو اعترفت. وتابع كلامه وهو يغادر المطبخ:

- يجب أن نفكر بشيء نفعله حول هذا الأمر...



اليوم التالي كان يوم السبت، وبعد الظهر أتى نويل جيميز، ليأخذ اللوحات. ودعته بليندا للدخول، ولم يكن قد دخل المنزل من قبل. وعندما رأى الكتابات فوق الابواب ضحك واخذ يقرأ إحداها:

«الكلب صديق... مخلص وصادق... وهو أفضل من امرأة مستغلة» ووضع ذراعه حول خصر بليندا وجذبها نحوه قائلاً:

- وهذه المرأة تستغلني. فأنا اقدم لها فرصة، دون مقابل، لتبيع لوحاتها لزبائن اثرياء، وماذا تعطيني في المقابل؟ حب مصلحة؟

وبينما هما في هذا الوضع، نزل غارث السلم. وتبادل نويل معه انحناء التحية، وتجاوزهما غارث ودخل الى غرفة جلوسه، وسألها نويل:

- أين هو مرسمك؟ فوق أم تحت؟.. تعالي يا حلوتي وأريني أين هو.. وسأفعل ما تبقى...

لو أن غارث سمع الحديث... وباب غرفة الجلوس مفتوح.. فماذا سيستنتج من كلماته...

كانت الرسومات موضوعة في كومة فوق بعضها، وبينما أخذ نويل يقلبها معجباً بكل واحدة منها، تركته بليندا لتحضر الشاي في المطبخ، ودخل عليها غارث وتوقف مستديراً ليعود أدراجه، ولكنه غير رأيه، وقالت له بليندا:

- يوجد فنجان شاي إضافي.. هل تحب أن تأخذه؟

- لا، شكراً، أفضل أن أصنع واحداً لنفسي.

- ولكن لماذا؟

وتجاهل كلامها وحضّر لنفسه صينية، فقالت بمرارة:

- أنا آسفة لأن أصدقائي لا يعجبونك. ولكن العقد لا ينص على أن تصنّف زواري وأن لا تمنحهم فرصة الدخول إلى هذا المنزل القديم الفخم.

ولم يتحرك لسخريتها، وغرق أكثر بالصمت فقالت صارخة:

- من تظن نفسك لتعامل كل من أدعوه بمثل هذا الازدراء؟ انتظر حتى تأتي بشخص ما إلى هنا.. سوف أعامله أو أعاملها، وكأنه النفاية التي تنتظر أن يلتقطها عامل التنظيفات!

وأخيراً استطاعت أن تغضبه، ولكنها جفلت من الغضب الذي أثارته. واستدار ليواجهها:

- انظري يا فتاة... لا أهتم أبداً كم من الرجال تدعينهم إلى المنزل. فعمتي لم تعينني حارساً لك. أنت كبيرة كفاية لتعرفي ماذا تفعلين.. واذا كانت طريقتك بالحياة العبث مع رجل بعد الآخر، إذاً تابعي طريقتك... ومن أنا لأمنعك من التمتع؟ ولكن لا تهاجميني مثل كلبة متوحشة صغيرة، وكأنما تسببت لك بإصابة، اخرجيني من ذهنك، فأنا لا أهتم بك، ولا أهتم بالتطفل عليك. اعتبريني شخص حيادي، وغير مهتم، وغير مبالٍ بك اطلاقاً.

وارتجفت شفتاها، واحمرّت عيناها وصاحت بصوت جاف:

- أنا لست هكذا، أنا لا أعبث مع الرجال. وأعتقد أن عليك أن تعتذر. يجب عليك أن تعرف أنني لست هذا النوع من الفتيات.

- كل الدلائل التي شاهدتها حتى الآن تشير دون شك إلى العكس. أما بالنسبة للاعتذار... لن أعتذر ولو على حياتي! فأنت من بدأ الصدام!

وخرج من المطبخ...

كانت اللوحات، تباع في مطعم جيميز بأسعار اعلى مما كانت ستحصل عليه لو عرضتها عبر قنوات عادية. نويل لم يكن يسمح لها بتعليق الكثير منها في غرفة واحدة. علقا اربعة في قاعة المطعم الكبيرة. وثلاثة عند المدخل الواسع، واربعة أخرى على حائط مدخل غرفة المؤتمرات.

بعد الانتهاء قال نويل «لقد قمت بواجبي ووزعت عمل صديقي. وسأجلس الآن وأمتع نفسي بانتظار أول زبون يدفع المال لإحدى قطعها الفنية...».

وتأبطت بلبندا ذراعه وقالت «والرسامة المحظوظة تحصل على شيك ضخم». وردّ عليها «أما أنا، رجل الأعمال القنوع، فأحصل على مبلغ عمولة اقل».

- تستطيع قبض عمولتك طالما تبيع لي اللوحات.

- ولكنني اردّ الارباح إلى العمل يا حلوتي، هكذا يصر والدي... ولكنني أفعل هذا وأنا مسرور. سأدعوك الى العشاء، ولكن أمامنا ساعة قبل الموعد ماذا سنفعل؟.

- سنجلس في غرفة الاستقبال بالطبع.

وأحست وهي تقول هذا، بعدم الارتياح، فلماذا يظن الجميع أن الفنانات لا أخلاق لهن؟

- وأضيّع ساعة مع فتاة جميلة في غرفة الاستقبال؟ ماذا تظنين بي؟ إضافة إلى أنني أريد أن أخطبك!

- لا تكن سخيفاً يا نويل... ولا تتحدث بخفة عن مسألة جدية كهذه.

- ومن يتحدث بخفة؟ تعالي معي لنسير في الحديقة، نحن في شهر نيسان وقد حلّ الربيع. وأنت تعرفين ما يقال عن الربيع وعن الشبان. وأنا أرجو أن يكون للربيع نفس التأثير على الشابات أيضاً!

الحدائق حول المطعم كانت مليئة بالزهور، والأشجار بدأت تطرح البراعم، وشمس المساء كانت دافئة، وقال لها نويل «تعالي إلى الخلف، المكان أهدأ هناك».

ووجدت هناك تلة خضراء تمتد صعوداً من المطعم، وتسلقاها معاً. وأخذ نويل يدها وقال «كنت أعني ما أقول.. يا حبيبتي!».

- أنت لا تحبني يا نويل!

- لا أحبك؟ أحب النظر إليك، أحب عينيك الحالمتين. أحب ابتسامتك، شعرك، و... وكل ما فيك... ماذا تريدين أكثر؟ أستطيع توفير الأمان لك، ومستقبل مؤمن، وكل المال الذي تريدينه، ومرسم يتغلب على كل الفنانين. هذا بالإضافة إلى معارض خاصة بك.

وابتسمت له «آسفة يا نويل... أنا لا أهتم بالزواج».

الزواج! الكلمة أعادت الى ذهنها وجهه البارد والوسيم، كلما نظر إليها أوصل ساقيها إلى حالة شاذة من الضعف، وحجّم ذاتها إلى حجم طابع بريد. وجه، لو سمح له مالكه أن يبتسم، يجلب الاضطراب إلى حياتها، وجذبت يدها من يد نويل... وقالت:

- على كل الأحوال.. لا تعرف شيئاً عني، عن حياتي، عن خلفيتي... وقطب جبينه وقال: «وما نوع خلفيتك؟».

- الفقر... والدة أرملة مكافحة لتربي شقيقي وشقيقتي...

- هل هذا كل شيء؟ تزوجيني وسأسكب المال في حضنها إلى أن تعتقد أنني مجنون!

- آسفة يا نويل.. إنه لطف منك، ولكنني لا أستأهل... سأكون صفقة خاسرة لك.

- اعتقد أنني أنا الحكم في هذا. فلديّ الخبرة الكافية.

وحاول إقناعها ثانية وهما يتناولان العشاء. وانهمك السقاة بارضاء ابن صاحب المطعم، والفتاة التي يعيرها كل هذا الاهتمام المحبب. وتمتعت بليندا بوجبتها، وهي تعلم أنها بعد رفضها عرض نويل، سيمر عليها زمن طويل لن تتمتع به بمثل هذه الضيافة.

ولكنها قللت من أهمية إصرار نويل، إذ قال لها:

- إنها المحاولة الأولى. وعروض الزواج مني ستتبع في أوقات متلاحقة!

وأجابته بابتسامة عنت بها تلطيف كلماتها:

ـ ستضيع وقتك سدى...

وقررت بقدوم نهاية الفصل الدراسي أن تقيم حفلة في منزلها. ووعدها براد أن يحضر للحفلة عدداً كبيراً من الفنانين من كلا الجنسين، وعندما دعت نويل وعدها بإحضار عدد من الضيوف أيضاً. وحذرتها قائلة:

ـ إنها حفلة يحضر كل ضيف فيها طعامه، فلست طباخة ماهرة، وليس لديّ الوقت الكافي لتحضير الطعام.

بعد المدرسة، وقبل أن يحضر غارث الى المنزل. أخذت بليندا ترتّب المكان بسرعة وتعيد ترتيب المقاعد، وتبعد الأنية الصينية الفاخرة. فمع أنها تنوي كبح جماح فضولهم، الا أن الفنان عندما يرى شيئاً جميلاً، لا تستطيع ضمان أن لا يتناوله متفحصاً.

وفتح الباب، ودخل غارث، وذهبت بليندا لتستقبله، مترددة بخجل فقد كانا لم يتبادلا الحديث منذ أكثر من اسبوعين.

ـ غارث؟ سأقيم حفلة هذه الليلة... هل... هل تحب أن تنضم إلينا؟ سأرحّب بقدومك كثيراً.

ـ شكراً لك.. لا أستطيع.. فانا حيوان غير اجتماعي. وأنا لا أختلط مع أقراني إلا بسبب متطلبات العمل.

وشعرت بخيبة الأمل، ولكن ماذا كانت تتوقع؟ قبول مرحب، وكأنما هو واحد من ضمن حلقة أقرانها؟ من المؤكد أنه سيختلط مع أقرانها كما يختلط الأسد مع قطيع من الغزلان!

ـ هذا يعني أنك ناسك؟

ـ لن أذهب بعيداً إلى هكذا ادّعاء، لنقل إنني متعصب حول الناس الذين أختار لأن أكون اجتماعياً معهم.

ـ واصدقائي ليسوا من الصنف الجيد بالنسبة لك؟



ARLIMS.COM

- اصدقائك ليسوا اصدقائي. واصدقائي ليسوا اصدقائك. لنترك الأمر هكذا.

- كيف استطاعت عمتك أن تظن أننا سنستطيع العيش ما تبقى من حياتنا معاً في سلام!

- من المستحيل حدوث هذا.. أليس كذلك؟ لقد وصفتني بأنني أكثر شخص بغيض قابلته في حياتك.

وعضت على شفتها... وناقشته ثانية.. دائماً تجادل:

- ولماذا يجب أن تكون دائماً مزعجاً؟

ولكنه لم يردّ، ونظر إليها لثوانٍ، ثم استدار وابتعد.

في البداية حضر اثنا عشر شخصاً، وبتقدم الأمسية وصل عدد أكبر، وأحضر الجميع طعاماً، وأحضر بعضهم أطباقاً وأكواباً من الممكن التخلص منها. وفتحت بليندا، وفتاة أخرى، علب السندويشات، والحلوى، والبسكوت ووضعتاها في الأطباق.

وامتلأت غرفة طعام بليندا بالرجال والنساء بعضهم يجلس على المقاعد القليلة والبعض الآخر على الأرض او يتكأون على الجدران، وأحضر أحدهم مسجلة أدارها وجذب نويل بليندا من مكانها على الأرض وبدأ الرقص معها، ولم تمض ثوانٍ حتى انضم الآخرون لهما، وتوقفوا عن الرقص ليتناولوا الطعام واستمرت الموسيقى تصدح بصوت مرتفع، وارتفعت اصوات الضحك والحديث لتتغلب على صوت الموسيقى.

وغادر أول ضيف الحفلة عند الواحدة بعد منتصف الليل. ولم يخرج آخر ضيف قبل الثانية. وعرض نويل على بليندا أن يساعدها في تنظيف المكان، ولكنها عرفت أن ذلك حجة ليبقى معها على انفراد، وفي الردهة أخذها بين ذراعيه وقال:

- لقد قلت هذا من قبل.. وأقوله مجدداً... هل تتزوجيني؟

ـ لا يا نويل.. لقد قلت لك...

ولكنه أسكتها بضمها إليه بقوة، وسمعت صوت حركة في أعلى السلم، فجذبت نفسها مبتعدة عن ذراعي نويل. واستدارت مذعورة، وحدقت إلى أعلى السلم، ولم ترى سوى ظل، اختفى فوراً...

هل سمعها غارث؟ هل شاهدهما؟ ودفعت نويل الى الباب.

ـ لديّ مدرسة غداً.. ولن أستطيع التدريس إذا تأخرت، أرجوك اذهب. لقد تمتعت بوقتي.. شكراً لك.

وحاول جذبها ثانية، ولكنها لم تستجب. وعندما ذهب، جلست على الدرج وهي تعبة.. هل تنظف المكان الآن؟ غرفة الطعام لا تهم، ولكن المطبخ... لو أن غارث يراه كما هو الآن...

وعلى الرغم من الأطباق الورقية والأكواب البلاستيكية، فإن العديد من الصحون والأكواب الزجاجية جرى استخدامها. ولن تسمح لنفسها بأن تترك حتى سكيناً واحدة دون تنظيف.

ظهيرة اليوم التالي شعرت بالإرهاق، وبألم حاد في رأسها وضعف في ساقيها. وعزت ذلك لعدم نومها كفاية في الليلة السابقة. وعرض عليها براد أن يتولى آخر صف لها ذلك اليوم. فقبلت العرض وعادت إلى المنزل. ولكن بدل أن ترتاح بدأت بتنظيف غرفة الطعام.

وقبل أن يعود غارث، صعدت الى مرسمها وهي تشعر بازدياد الألم في رأسها، وكل ما تحتاجه الآن هو الدفء. وسمعته يصل ثم يدخل غرفة نومه. وتسللت بدورها الى غرفة نومها، وخلعت ثيابها ودخلت الحمام لتغتسل. وأراحها الحمام قليلاً، ولكنه لم ينعشها تماماً. ثم عادت إلى غرفة النوم وارتدت ثياب نومها، وتذكرت بأنها نسيت زجاجة الماء الساخن لتضعها في الفراش.

وهبطت نحو المطبخ لتحضر الزجاجة، فوجدته جالساً إلى الطاولة، وقد وضع جريدة المساء امامه، يتناول طعامه. ووقف عندما رآها قائلاً:

ـ لقد اعتقدت أنك تناولت وجبتك، وإلا لتركت المطبخ لك.
ـ أرجوك ابقي حيث أنت.. أنا... لست جائعة.
ـ وهل تعشيتي في الخارج؟ ربما في مطعم جيميز؟
ـ لا.. أنا ذاهبة إلى الفراش.. فأنا تعبة.
ـ تبدين بالفعل شاحبة، مع احترامي لك، التأخر في السهر لا يناسبك... فهو يوتر النساء، ناهيك عن إفساد الجمال...
ـ لست اهتم.. لست جميلة زيادة لأفسد جمالي...
ـ انت تعلمين أن هذا ليس صحيحاً.

وساد الصمت هنيهة، وبعد أن ملأت زجاجة الماء الساخن قالت متحدية:

ـ وماذا تعرف أنت عن مشاعر النساء؟
ـ اكثر مما تتخيلين.. فأنا لم أعش حياة رهبانية.
ـ ما تعنيه أنك استخدمتهن لحاجاتك الأنانية. ثم رميتهن.
ـ نحن نتكلم باشياء خطرة. وبلباسك هذا تبدين عرضة للهجوم.

كل فلسفة تحرر النساء في العالم، والتي تعرضينها عليّ الآن، لن تحميك لو قررت أن أرمي كل تحفظ جانباً، وأستخدم قوتي لأحطم كل حواجزك. ثم أنفّذ ما قلتيه: أستخدمك لحاجاتي الأنانية، ثم بعد ذلك أرميك...

وامسكت بزجاجة الماء الساخن المطاطية ولفت يديها حولها ثم ركضت خارج المطبخ. وفي الفراش حاولت أن تنام، ولكن ألم الرأس كان يضربها وكأنه المطرقة على الجدار. وعلى الرغم من حرارة كيس الماء فقد ارتجفت.

وبعد برهة، تسلل صوت إلى حلمها. وتبين لها بعد أن استفاقت تماماً أنه صوت موسيقى تصخب عالياً حتى كادت تهز المنزل، منبعثة من غرفة جلوس غارث، ولا بد أن الباب مفتوح.



كان يعلم أنها نائمة. ويعلم أنها تعبة من الليلة الماضية.. إذاً لماذا يفعل هذا؟.. للانتقام؟.. طريقة دنيئة للانتقام من الصوت الذي صدر عن حفلة الأمس؟

كان وجهها يحترق، وهي تقف شعرت أن ساقيها ضعيفتان، وصرخت من أمام الباب بكل عزمها «أرجوك يا غارث.. اخفض الصوت!».

لم يكن بإمكانه أن يسمعها، فصوت الموسيقى مرتفع. ويجب عليها أن تنزل، إذا استطاعت قدماها أن تحملاها. وعاد الألم إلى رأسها، وأخذت تستند إلى درابزين السلم خطوة خطوة ويداً فوق يد وقدماً فوق قدم.

ولم يردّ عليها أحد عندما قرعت الباب. وأدارت المقبض وخطت إلى الداخل. لم يكن هناك. لقد أدار الصوت إلى اقصى ارتفاعه وغادر الغرفة. وبينما هي تنسحب من الغرفة، سمعت حركة عبر الردهة. وكان واقفاً عند باب المطبخ ينظر اليها بسخرية... وقال:

ـ لقد عرفت الآن مدى الإزعاج. لقد عرفت كم هو مستحيل النوم في ظل اصوات تصخب وترتفع.

وأمسكت بليندا بالباب لتتكأ عليه، ونبضات قلبها تصخب، وشفتيها جافتان، وتوسلت إليه قائلة «أرجوك يا غارث.. أرجوك اطفيء الصوت!».

«وبقي واقفاً.. واقفاً فقط.. في مواجهتها، وذراعاه متشابكتان وظهره على حافة الباب. واستمر الصوت يصخب من خلفها وجسدها يرتجف، ورأسها يتحرك من جانب إلى جانب صارخة «أرجوك.. أرجوك يا غارث.. أنا آسفة عن الليلة الماضية.. لن يحدث هذا ثانية، أعدك!».

ـ لا أصدقك!

سخريته، أخلاقه التي لا ترحم.. قلة شفقته جعلت رأسها يسقط على صدرها وجسدها يرتجف.. وأخذت عيناها تتوسلان اليه وكأنها تقول:

«اعطني بعضاً من قواك، احملني، أمسك بي...» وسحبت نظرها عنه.. ماذا تحاول أن تظهر؟ حاجتها إليه؟ حاجتها.. لحبه؟ واحتبس نفسها في حلقها. بطريقة ما يجب عليها الابتعاد عنه، وعن الصوت المصّم داخل الغرفة هذه. ستعود الى فراشها وستدفن رأسها في الوسادة وتغطي أذنيها.. لا يمكن لها أن تتوسل إلى برودة هذا الرجل الذي لا يحتمل...

وامسكت بمقبض الباب لتدعم نفسها، وخطت إلى الامام ولكنها ترنحت وبقي يراقبها... هل يظن أنها تمثل عليه؟ وقال لها دون مبالاة:

ـ لقد قلت لك.. سهر الليالي لا يناسبك.. وما يبدو عليك الآن هو البرهان.

ـ غارث أنا مريضة... لست تعبة... بل مريضة.

وبقي غير مصدق لها. بقي حيث هو، وذراعاه متشابكتان. السلم كان بعيداً عنها، وهي تحتاج للعون.. العون.. ممن؟ ليس من غارث غاردنر.

وتحركت قدماها ببطء وتحركت ساقاها معهما. ووصلت الى أول السلم.. ثم انهارت، ووضعت يداها على أذنيها وصرخت بضعف ويأس. صوت الموسيقى كان يدفعها للجنون، والرجل الساخر اللامبالي يمزقها بتصرفاته، تصفها بكرهه وتصفها الآخر يريد عونه، قوته أن تلفها بالمساعدة...

ـ الن تكملي صعودك؟

ولم تستطع الإجابة لأنها كانت تبكي...



ـ ماذا تحاولين أن تفعلي، أن تجعليني أشعر بالأسى عليك؟ أنت فنانة؟ أنت ممثلة!...

كان وكأنه يتحداها أن تكمل طريقها صعوداً على السلم، على هذا الجبل... وشدت على درابزين السلم، وجذبت نفسها لتقف على رجليها. ولكنها ترنحت ووقعت... وتحرك كالبرق. وأصبحت بين ذراعيه دون حراك... ضعيفة وترتجف. ورفعها وتحرك بها نحو غرفة الجلوس، وضغطت رأسها على صدره لتمنع صوت الموسيقى الداوي. وشعرت بالأمان عندما أطفأ الصوت. وشعرت في لحظة بأنها خارج الزمن.

وحملها برفق إلى غرفتها، ووضعها في السرير، ووضع الأغطية فوقها.. وعندها فقط لاحظت أنها لم تكن ترتدي روب المنزل.. وانحنى فوقها، ووضع يده على جبينها، وربّت على شعرها:

ـ هل تقبلين اعتذاري؟.. لو أنني علمت...

ـ لقد قلت لك...

ـ انا آسف.. هل تريدين أن أتصل بالطبيب؟

ـ لا.. شكراً لك...

ـ إذا لم تتحسني في الصباح.. ساستدعيه..

وسألته، بقليل من القلق «أين أنت ذاهب؟».. هل استطاع ان يسمع نبرة الخوف في صوتها؟

ـ لأحضر لك بعض الحليب، وأقراص دواء لتخفيض حرارتك.

كان البخار يتصاعد من الحليب عندما قدّمه لها، وساعدها على الجلوس، وسوى الوسادة من خلفها لترتاح عليها، ثم قال لها:

ـ لقد كنت أبلهاً.. كنت غاضباً منك، والغضب أعمى عيناي عن الحقيقة. وابتعد عنها نحو النافذة وجذب الستارة لينظر إلى الخارج.

ـ بليندا؟ ألا تنوين أن تضعي حداً ليؤس صديقك وتتزوجيه؟

ـ من؟ نويل جيميز؟ إذاً لقد سمعت ما قاله؟

ـ وكيف لي أن لا أسمع؟ لقد منعتني من النوم بنجاح لساعات وكنت المجول في المنزل أتساءل ماذا سأفعل عندما تظرت وشاهدت منظركما المؤثر. وسمعت عرضه للزواج منك.

ـ لا.. لا أظن أنني سأتزوجه.

ـ ولماذا لا؟ ماذا تأمل فتاة بمركزك أن تنال أكثر؟ ام أن السبب براد؟

ـ أنا مولعة بكليهما..

ـ مولعة؟ ما هذه الكلمة مثل الحليب والماء. لا تولعي بي أبداً، اتسمعين؟ لا أستطيع تحمل ولعك.

إذاً هو يندرها، يعلمها بأدب أن عليها أن تستثنيه عندما يتعلق الأمر بالزواج. ولكن كلماته التالية أدهشتها:

ـ لو تزوجتك كما ترغب عمتي.. فماذا ستفعلين بالمال الذي سيعود إليك؟

وأعادت رأسها للوراء ليغرق في الوسادة، وأخذ منها كوب الحليب الفارغ، ثم وقف ينظر إليها. ماذا ستفعل بالمال؟ ستعطيه لأمها. ولكن هذا شيء يجب أن تحتفظ به في مطلق الأحوال لنفسها يجب أن لا يشعر أبداً بأنه . بالتضحية لأجلها بزواج من غير حب لا معنى له.

ـ الم اقل لك؟ سأصرفه على نفسي، أشتري به الأشياء التي طالما رغبت فيها.

وأدارت وجهها لتنظر إليه، وادركت من التعبير الذي كسى وجهه أنها ببطء وتأكيد تدفعه بعيداً عنها. وتابعت:

ـ كل قرش منه سأصرفه على نفسي.. على نفسي فقط.

ـ شكراً لإبلاغي بهذا..

وتوجه نحو الباب... وأغمضت عينيها وقالت:

ـ هل صدمتك أنانيتي؟



ـ لقد أصابتني بالغثيان!

ـ ولكن ألا أتصرّف بهذه الطريقة كامرأة؟ ألا أؤكد هكذا ما تؤمن به؟ ألا أبرر كرهك للجنس الآخر؟

وفتح الباب وهو يقول:

ـ استدعيني ليلاً لو احتجت إليّ...

ولم تحتجه ليلاً... بل تاقت إليه.. ولكنها لم تستدعه...

## ٤ ـ عطش للحب

لازمت بلیندا الفراش في اليوم التالي. وعندما حضر غارث ليراها قبل أن يذهب إلى عمله قالت إنها تشعر بأنها أحسن حالاً، ومد يده ليلمس جبهتها فبادرته «ليس هناك حرارة... ولا لزوم للطبيب!».

ـ والطعام؟... هل تستطيعين تدبير أمرك؟.. لقد أحضرته لك..

ـ لطف منك أن تهتم بي يا غارث...

وهز كتفيه وخرج... وبدت وكأنها بعيدة عنه أكثر مما مضى. لن تستطيع لوم أحد لهذا سوى نفسها.

ـ سوف تمضي السيدة هوغند النهار معك إلى أن أعود، لقد رتبت الأمر معها.

ومر اليوم ببطء، واتصلت السيدة هوغند بالمدرسة واعتذرت عن بلیندا. وبوجودها في المنزل، لم تحتج بلیندا إلى شيء، فهي لا تزال شابة وعندها أطفال تربيهم، وعاملت بلیندا وكأنها من أطفالها، حتى أمها لم تدللها هكذا من قبل:

ـ يجب أن أعتني بفتاة السيد غارث الجميلة.. تعليماته أن أبقى بين يديك.

ـ ولكن، سيدة هوغند، أنا لست...

وتوقفت عن الكلام فلم تكن ترغب في أن تزعزع ثقتها. لقد دعاها «بفتاته الجميلة». وكيف له أن يصف الفتاة التي تشاركه المنزل؟ أكان



يضع في ذهنه هذا عندما سألها عما ستفعل بمالها إذا تزوجته؟ وفي الواقع، كم من الوقت يستطيعان الاستمرار في العيش معاً هكذا دون إثارة الأقاويل؟ وتابعت ردها على السيدة هوغند:

ـ أنا لست مريضة كثيراً... إنه التهاب خفيف، وسوف يمر...

ـ عليّ أن أستدعي الطبيب إذا ساءت حالتك... هكذا قال السيد غاردنر!

عندما وصل غارث إلى المنزل، أبكر من المعتاد، صعد فوراً إلى غرفتها. وكانت السيدة هوغند هناك، تأخذ صينية الشاي. وجلس غارث على طرف السرير، وأخذ يدها الساخنة وقبّلها. فابتسمت السيدة هوغند وتركتهما وخرجت.. وسألته بلیندا:

ـ ولماذا فعلت هذا؟

ـ إنه نوع من التغطية يا حبيبتي! فأنت فتاتي، والأكثر من هذا أنت خطيبتي، والتقاليد تفرض هذا، فنحن نعيش معاً.. أليس كذلك؟

ـ لا تكن سخيفاً يا غارث، لنفترض أن عمتك سمعت بهذا، فماذا ستقول.

ـ سترسل لي طالبة صور حفلة الزفاف.

ـ لن يكون هناك زفاف... لا يمكن.. لا تستطيع الزواج مني.. فأنت لا تحبني!

ـ وهل يجب أن يكون الحب دائماً من شروط الزواج؟

ـ بالطبع.. وكيف تفكر بطريقة أخرى؟

ـ كم عمرك؟ اثنان وعشرون؟ أم ثلاثة وعشرون؟ ولا تزالين في هذا العمر تحلمين بالحب الرومانسي مثل المراهقين؟

ـ منذ متى يعتبر الزواج عن حب حلم المراهقين فقط. الزواج دون حب لا يمكن أن ينجح... أتذكر الكلمات المنقوشة فوق الباب في الردهة:

«غبي هو الرجل الذي يتّخذ زوجة في حياته، فيوم زفافه هو يوم مماته».

وضحك، ثم دخلت السيدة هوغند، فانحنى غارث وقبل خد بليندا، ودفعته بغضب عنها، ولكن بابتسامة عذبة على وجهها، لأن السيدة هوغند كانت تراقبها. واضطرت لأن تقول «ستلتقط العدوى» وابتسم بكسل «قد أحب ذلك» وقالت السيدة هوغند «هل هناك شيء آخر سيد غاردنر؟» وأجابها بالنفي، وشكرها على عنايتها «بفتاته» فتنهدت «عمتك ستكون مسرورة جداً... هذا ما كانت تريده تماماً.. أن تتزوجا» ورنّ جرس الهاتف في الردهة وخرج معها ليرد. وعندما عاد كان وجهه مكفهراً، وكأنما ما جرى من حديث مرح بينهما لم يكن، وقال بجفاء:

ـ صديقك رقم واحد.. أم هو رقم اثنين، براد سترونغ، يريد أن يعرف إذا كان يستطيع زيارتك؟

ـ الأفضل لا.. قد يلتقط العدوى.

وعندما عاد، قال «أبلغت الرسالة، واستقبلها باستياء وعدم تصديق. انت تعاملين اصدقاءك الرجال بقساوة أليس كذلك؟ أنا سعيد أنني لست واحداً منهم!».

ـ ولكنك قلت للسيدة هوغند إنك صديقي...

ـ هذا يسعدها، فأخلاقها من الطراز القديم.. هل تريدين بعض الطعام؟ لا لزوم للامتعاض.. فأنا طباخ ماهر، لو كنت رئيس طباخي جيمز، لتضاعف عدد زبائنهم.

فابتسمت وقالت ساخرة «حسناً... أرني أسوأ ما عندك» ونظر إليها متوعداً:

ـ اسوأ ما عندي أفضل من أحسن ما عندك، أيتها الفتاة.

ولم تستطع إنكار هذه الحقيقة، وأكلت كل ما قدّمه لها بشهية.



وعندما أخذ الصينية علّق قائلاً: «الطبق الفارغ أفضل إطراء للطباخ» وقالت ضاحكة:

ـ هذا شيء لن أعرفه أنا أبداً...

واخذ يضحكان، ورنّ جرس الهاتف، ووقف ممتعضاً، وخرج، ثم عاد فوراً:

ـ صديقك رقم اثنين: نويل جيمز، يأسف لسماعه بمرضك ويسأل إذا كان يستطيع زيارتك.. نفس الرسالة السابقة؟

ـ أجل.. أرجوك..

فتنهد وقال «لم أكن اعتقد بأنني أنا مدير الفرع الرئيسي، والذي ينحني لي كل الموظفين ويرتجفون وينادونني يا سيدي، سألعب يوماً دور الحاجب لمدرّسة فنون شابة غير معروفة».

وعندما عاد قال «لقد بلّغت الرسالة.. ولكنه لم يوافق.. توقعي حضوره بعد عشر دقائق» ونظر إليها ساخراً «بقليل من الماكياج وتسريح شعرك قد تقنعينه بالانضمام إليك، ولكن يجب أن تفسحي له مكان في السرير لأن الأسرّة الإفرادية ليست مريحة لشخصين».

ـ وكيف تعرف؟.

ـ أعرف بالممارسة...

وخرج، فصاحت به «غارث... غارث... الأمر ليس كما تعتقد!».

وحضر نويل، وانحنى ليقبل رأسها، وجلس قربها على السرير، فابتسمت له وقالت: «نويل أنا اريد أن استفيد منك».

ـ اطلبي كل ما تريدينه يا حبيبتي! أنا في خدمتك! متى تريدينني...؟

ـ توقف عن المزاح يا نويل واستمع: يوم السبت، ساكون قد تحسنت، وكنت وعدت اولاد صغير بأن آخذهم الى الريف في نزهة، وتمرين للرسم أيضاً...

ـ وكيف أستطيع المساعدة؟
ـ هل تأخذنا بسيارتك، إنها كبيرة...
ـ وماذا أفعل أنا وانتم ترسمون؟
ـ تجلس وترتاح... وستبدو جميلاً حتى أنني قد أرسمك...
ـ شكراً للمديح.. حسناً سآخذكم.. ولكن العدل عدل.. يجب أن تقدمي لي معروفاً بالمقابل.

وأخرج علبة كبيرة من جيبه وفتحها، وبدا فيها خاتم ماسي ضخم يلمع بشكل لا يصدق في العلبة المخملية، وقال «البسي هذا».
ـ ولكننا لسنا مخطوبين يا نويل.
ـ لقد قلت لك انني لجوج.. هيا البسيه يا حلوتي!
ـ آسفة يا نويل...
ـ هل أستعجلك؟ حسناً.. سأنتظر!
ـ ولكنك ستأخذنا إلى الريف يا نويل؟ أرجوك؟
ـ عندما تنظرين بهاتين العينين الواسعتين، كيف لرجل أن يرفض؟
ـ شكراً..
ـ الا أستحق أكثر؟
ـ إنني مريضة وهذا يجعلني ضعيفة.

فضحك ووقف «سأراك يوم السبت. في أي وقت؟ الساعة الثانية؟»
وبعد أن خرج دخل غارث... ولاحظ وجهها المتورد فسألها:
ـ هل حددتما الموعد؟
ـ بالطبع لا.. ولكنه قدّم لي خاتم الخطوبة.
ورفع يدها لينظر اليها فقالت «لقد أعدته إليه».
ـ إنك فتاة طيبة، كم تحبين أن تبقي رجلك معلقاً. اشكر الله أنني لست واحداً منهم.



في الصباح التالي كانت لا تزال في السرير عندما دخل غارث، بعد أن قرع الباب أولاً.
ـ هل أنت أفضل الآن؟
ـ اجل شكراً لك. سأخرج من الفراش اليوم. وغداً أعود إلى عملي.
ـ وهل هذا أمر حكيم؟ وهل هو ضروري؟ على كل غداً آخر يوم في الدراسة، أليس كذلك؟
ـ اجل إنه ضروري، فمعلمين آخرين يتولون حصصي، وهذا ليس عدلاً لهم. على كل، يوم السبت وعدت أن آخذ مجموعة من الأولاد إلى الريف ليرسموا، ويجب أن أرتّب أمر اللقاء بهم وما إلى ذلك.
ـ ومن سيوصلكم إلى هناك؟
ـ سيوصلنا نويل...
ـ سيمثل دور الأب؟ يتمرن منذ الآن على رعاية الأطفال.
ـ هذا لطف منه...
ـ لطف كبير أن يساعد فتاة يحبها.
وقطبت جبينها وأخذت ترتب الشراشف وهي تقول «مع السلامة».
ـ انت تعرفين كيف تجعلين الرجل يشعر بأنه غير مرغوب فيه.. أليس كذلك؟

أحضر رجل البريد رسالة من السيدة دونيكان تقول فيها:
«أخبريني عن أحوالك يا بليندا. لقد كتبت لغارث ولكنه لم يرد. كيف حالكما معاً؟ هل خطبتما؟ لقد مضى شهران، وبقي أربعة فقط لتستفيدا أو تستفيد القطط! أنا واثقة أن بامكانك تحطيم حواجزه، مع أنني أعترف أنها صلبة».
«أنت جميلة جداً يا عزيزتي. ولك طبع جميل.. كيف يستطيع أن يعيش في نفس المنزل معك ولا يقع في حبك؟ أنت جزء من خطتي،

وأعلم أنني عجوز مزعجة، لا بد أن طباعه أصعب مما تصورت، بما أنه قادر على أن يقاوم سحرك حتى الآن! اكتبي لي، وأتمنى ان تكون أخبارك جيدة... عمتك المحبة.. ايلين دونيكان».. .

وبعينين دامعتين طوت الرسالة، ثم استغرقت بالرسم، لونت قليلاً، ثم رسمت قليلاً، وتجولت في البيت على غير هدى...

كان باب غرفة جلوس غارث مفتوحاً، فأدخلت رأسها عبر الباب بحذر وكأنه داخل الغرفة.

جلست في مقعده المفضل، وأمالت رأسها على وسادة المقعد ثم دفنت رأسها فيها وكأنها تعانقه. وتركتها منزعجة من أفكارها ومشاعرها، وسارت نحو الغرفة. على حافة المدفأة، كانت هناك صورة ملوّنة لامرأة في أوائل الثلاثينات من عمرها، طويلة نحيلة، وجذابة، وكانت تبتسم، عند الزاوية هناك كتابة جميلة الخط ومنمقة: «إلى غارث من لوسيا.. سأفتقدك».

إذاً هذه هي الفتاة التي تركها هناك، إنها لا تشبهني، ومررت يدها على شعرها الأشقر الطويل، ونظرت إلى شعر المرأة القصير البني المتجعّد، وتفرّست بملابسها، أنيقة ومكلّفة، مع لمسة من عالم الأزياء، ثم قطّبت جبينها وقد تذكرت طريقة لبسها.

بعد دوام المدرسة، اتصل بها براد وسألها اذا كان بمقدوره زيارتها، وكانت تشعر بالسأم، فلماذا لا يزورها؟ وقال «سأحضر بعد عشر دقائق».

واستقبلته في غرفة طعامها، فجلس وأشعل سيجارة ونفخ دخانها وفتح حقيبته وأخرج بعض الرسومات وقال:

ـ هذه بعض الأعمال التي قام بها الأولاد في صفك. متى ستعودين إلى المدرسة؟ غداً؟ هذا جيد. لقد قلق الأولاد الذين ستأخذينهم في الرحلة.



ـ آمل فقط أن لا تمطر، أنت تعرف الريف، لا يمكن الحصول على طقس جيد هناك في مثل هذا الوقت من السنة.

ـ إذا أمطرت دعيهم يرسمون المطر... المطر الحقيقي، إنه تمرين جيد.

الساعة بلغت الخامسة والنصف، وفي أي دقيقة قد يحضر غارث وبراد لا يزال هنا. ولكن لماذا عليها أن تهتم إذا وجد غارث براد هنا؟ إنها ليست تابعة له!

لا بد أن غارث قد لاحظ رائحة دخان براد، وبدلاً من أن يصعد مباشرة إلى غرفته كما يفعل دوماً، دفع باب غرفة جلوسها. وأحنى رأسه لبراد بالتحية، ونظر إلى بليندا بغضب، ثم نظر إلى الرسومات المنتشرة على الطاولة وخرج، تاركاً الباب مفتوحاً.

وعندما غادر سألها براد:

ـ لماذا فعل هذا؟ ماذا كان يظن أننا نفعل؟ نقوم بخياطته؟

ـ براد.. إنني لست متزوجة منه.

ـ قد يظن أي شخص آخر أنك متزوجة منه. لا أستغرب ان يقوم بتقييدك إلى الباب، وبدلاً من أن يكتب أمامك «احذروا هذا الكلب» يكتب «احذروا هذه الامرأة» إنها لي...

وضحكت بليندا «لك أفكار غريبة يا براد. لقد قلت لك إنه يعترف بنفسه بأنه يكره النساء».

ـ ليس هناك رجل طبيعي يكره النساء يا عزيزتي، وخذي كلامي على محمل الجد، هذا الرجل طبيعي تماماً...

ـ إنه لا يطيق رؤيتي!

ـ ما بالك؟ لست واقعة في حبه؟

واحمرّت وجنتاها، فبراد يلاحظ بدقة كبيرة.

ـ أحبه؟ أستطيع أن أحب قطعة من الصخر بسهولة أكثر. إنه

مصنوع من الصخر...

وجمع الرسمات وهو يقول «سأذهب عند أهلي لقضاء الأعياد» ثم سار نحو الردهة وعاد ليقول «ألن أحصل على قبلة وداع؟» فأجابته «آه منكم أيها الرجال ومن العناق» وتقدمت نحوه وعانقته قليلاً، فقال:

ـ أيجب عليكي أن تكون جذابة هكذا؟ لولا ذلك لما غازلك الجنس الآخر.

بعد أن حضّرا وجبة عشائهما، أخذ غارث طعامه وذهب إلى غرفة الطعام. وأرادت أن تسأله لمَ هو غاضب منها؟ وماذا فعلت له هذه المرة؟ ولكن الجو المتوتر بينهما منعها من السؤال.

بعدما أنهت غسيل أطباقها، مرت من أمام غرفة الطعام بصمت، فتقدم نحو الباب وقال:

ـ من سمح لك بدخول جناحي الخاص أثناء غيابي!

واحمر وجهها... كيف عرف؟ هل ملأ الغرفة بأجهزة تجسس؟

ـ ولكنني... لم...

ـ بل دخلتي.. لديّ دليل أنك دخلتي...

ولحقت به إلى الداخل.. ومد يده إلى وسادة صغيرة موضوعة على الطاولة وقال «الدليل رقم واحد» وأشار إلى شعرتين شقراوين طويلتين متعلقتين بالمخمل الأزرق. ونظر إلى شعرها ونظر إلى الشعرتين «إنها لك».

ـ أنا آسفة.. ولكنني لم أفعل شيئاً خاطئاً.. إنني فقط... فقط ماذا؟

هل عانقت الوسادة ظانة أنها أنت؟ لقد جلست هنا فقط!

ـ ولكن لماذا؟ لديك جناحك الخاص.

ـ لقد كنت ضجرة... لا يوجد أحد أتكلم معه، ولا شيء لأعمله. وأنا لن أمانع لو دخلت إلى غرفتي. فليس لديّ شيء أخفيه، فأنا اثق بك وعليك أن تثق بي.



ـ أوافق... ولكنني لا أحب أن تنتهك أملاكي على يد...

ـ تابع كلامك.. قلها.. قل على يد امرأة، وخاصة امرأة تكرهها.

ـ يا فتاتي العزيزة.. أنا لا أكرهك... إنني فقط...

ـ إنك لا تهتم بي... وكأنني لا أعرف هذا!!

واستدارت لتبتعد، ولكنه أمسك بيدها وجذبها إليه.

ـ هل يهمك أن لا أهتم بك؟

ـ الأمر فقط.. أن لا أحد يحب أن يتجاهله الآخرون، وأن يعامل وكأن الأمر لا يهم إذا كان موجوداً أم لا...

ـ ولكن... لديك أصدقاء شبان كثيرون «يهتمون» بك. فلماذا تهتمين إذا لم أفعل أنا؟

وسحبت يدها منه وقالت بغضب «لقد قلت إنني آسفة، لن يحدث هذا مرة ثانية» ورد عليها «لقد سمعت هذا القول من قبل».

ـ لقد أغلقت باب غرفة نومك، حسناً، اقفل أبواب كل الغرف، فأنا لا أهتم!

واستدارت لتركض صاعدة السلم، ورمت نفسها على الأريكة في مرسمها، وحدقت في السقف، كم ستستطيع تحمل الصدام معه؟ لقد قالت عمته «خطمي حواجزه» ولكن كيف لأية امرأة أن تجد طريقة لاختراق دفاعاته الصلبة؟

صباح يوم السبت، بعدما تناول غارث إفطاره، حضّرت لنفسها بضع سندويشات وبعض الكعك، وزادتها قليلاً احتياطاً للطوارىء. كانت ستلتقي الاولاد عند باب المدرسة، فقد وعد نويل أن يلتقي بهم هناك. ورنّ جرس الهاتف، وكان نويل المتكلم، وكان صوته ملىء بالاعتذار والأسف:

ـ آسف يا حبيبتي... هذا المؤتمر يجبرني على البقاء. والدي غائب، لذا يجب أن أبقى... ثم هناك عشاء سيتبع المؤتمر، ومن واجبي أن

أكون موجوداً، أكره أن أخذلك. ربما تستطيعين استئجار باص؟ وإلا فعليك بإلغاء الرحلة.. آسف يجب أن أنهي المكالمة...

وجلست بليندا على السلم ووضعت رأسها بين يديها. ماذا ستفعل؟ هل تخيّب أمل الأولاد؟ وسمعت وقع خطوات وراءها، وتنحّت لتسمح لغارث أن يمر. فقال لها:

ـ آسف، لقد سمعت حديثك هل خذلك نويل جيميز.

ـ ليس الذنب ذنبه.

ـ انا لا أقول إن الذنب ذنبه... كنت فقط أنوي عرض المساعدة، ولكن... واستدار ليعود أدراجه، ولكنها ركضت وراءه وهي تصيح «غارث» ووقفت أمامه «أرجوك» ووضعت يداها على ذراعيه «هل ستساعدني؟ سيكون الأمر رائعاً لو انك أخذتنا».

ـ الأطفال سيخيب أملهم إذا لم يذهبوا.. سآخذك من أجلهم فقط...

وسقطت يداها عنْ ذراعيه.. من أجلهم فقط... وليس من أجلها. حسناً! ماذا كانت تتوقع منه؟ وابتسمت:

ـ شكراً جزيلاً لك... الساعة الثانية... عند المدرسة.. أتستطيع؟

ـ إذا تغديت الآن.. أجل.. ما رأيك بتناول الشاي؟

وركضت نازلة السلم نحو المطبخ وهي تصيح:

ـ سأصنع بعض السندويشات لك...

ـ سأصنعها بنفسي...

ـ كما تحب... لقد صنعت ابريقاً من القهوة..

ـ سأصنع واحداً لي...

وعضت شفتها، أليس هناك شيء يرغب في مشاركته معها؟

وجلس المراهقون الخمسة، ثلاث بنات في الثالثة عشرة، وصبيين في



نفس العمر، في السيارة على أحضان بعضها. وساد المرح والضحك في المقعد الخلفي لسيارة غارث. وكانت المرة الأولى التي تركب فيها بليندا في سيارة غارث. وقالت له هذا، فرماها بنظرة غريبة، مقطباً:

ـ من النادر أن أسمح لامرأة أن تجلس بقربي، المقعد الأمامي لم يستخدم بعد.. ويجب أن يستخدم...

ـ اتفكر بأن تتخذ لنفسك صديقة، ولكن لديك واحدة، أليس كذلك؟

ـ وماذا تعنين؟

ـ تلك الصورة في غرفة الجلوس.. لوسيا.. التي تشتاق إليك.

وابتسم قائلاً «ظننت أنك لم تسترقي النظر ذلك اليوم عندما دخلتي الغرفة».

ـ لو علمت عمتك بأمرها، لما وضعتك في هذا الموقف السخيف المتعلق بي! لماذا لم تكن صادقاً معها؟ لماذا لم تخبرها عن صديقتك التي تركتها تنتظر؟

ـ هذا ليس من شأنك! هل كل أنا مصنوع من حجر، أليس هذا رأيك! لذا فما نفعي لأية امرأة؟

ـ لقد سمعت ما قلته لبراد!

ـ الم تقصدي أن أسمع؟ كم من المؤسف أنني لست قطعة من الصخر المنحوت. لكنت وقعت في حبي بسهولة أكثر... أليس هذا ما قلتيه؟

ـ وما نفع وقوعي في حبك؟ مكان قلبك تجويف يضيع فيه نهر جوفي!

وابتسم غارث ابتسامة ساحرة..

ووصلوا الى الوادي حيث يقصدون. كتل من الصخر المستطيل تقبع بروعة على ضفتي النهر. وركضت البنات نحوها ليستكشفنها، وأخذ الصبيان يضحكان ويلاحقانهن، مهدّدان بدفعهنّ إذا لم يسرعنّ في

سيرهنّ، ووصلوا إلى الجانب الآخر من النهر.

وامسك غارث بيد بليندا.

ـ تعالي... سأتأكد من وصولك إلى الضفة الثانية دون أن تقعي في الماء الجاري.

وخاضا إلى أول صخرة، ثم إلى الأخرى، تاركاً لها الوقت لتدوس على الصخر المتزلق من الماء، وصاح أحد الصبية «ادفعها في الماء يا سيدي».

ـ اذا لم تحسّن تصرفها سأفعل!

ومضيا في طريقهما، صخرة خلف صخرة، وكانت بليندا مسرورة لأن غارث يمسك بيدها عندما كانت قدمها تنزلق مرة بعد مرة.

وعندما وصلا الى الضفة الأخرى، رفعها غارث وطوّق خصرها بذراعه وأمسك بها قريبة منه للحظات قطعت أنفاسها. وتمتم قائلاً:

ـ لا أريدك أن تقعي الى الخلف...

وبينما ساروا جميعاً، انزلقت يده نحو يدها وأمسكها وكأنه لا ينوي أن يدعها تهرب من قبضته. ولأنها لم تكن ترغب في أن تترك يده، كان من المستغرب أنه يرغب في أن يمسكها، وسارت الى جانبه، ووجهها يعبق بالسعادة، وألوان عينيها تماثل ألوان النبات والشجيرات والأزهار من حولها.

كان يوماً ممتازاً للرسم والتلوين. وتجمّع الفريق حول بليندا التي أخذت تشير إلى تباين الظلال والشمس، وكان فوقهم الصخور العالية، والعشب الأخضر اللامع بحاذي المياه. وشرحت لهم، ما يفعله الماء والريح عبر العصور في أماكن محددة من الصخور ليشكّلها بأشكال غريبة، مثل تلك الصخرة التي تماثل الأسد الجاثم، لمن لهم الخيال، وابتسمت بسعادة لغارث الذي وقف يراقبها ويستمع. وقالت لهم:

ـ تستطيعون رسم وتلوين أي شيء تحبونه. نفذوا ما ترسمونه



بطريقتكم الخاصة، وحاولوا أن تتذكروا كل ما علّمتكم في المدرسة حول «النظرة الخاصة» عوضاً عن التطلع فقط. إذا كنتم تتطلعون إلى شجرة، لا تنظروا فقط إلى أوراقها وأغصانها، بل إلى المسافات بين هذه الأوراق والغصون، تستطيعون في الواقع أن ترسموا هذا الفراغ بدل الشجرة نفسها. وستكون النتيجة مهمة...

وتفرقت المجموعة، غير بعيد، وأخرجت أدوات الرسم الخاصة بها وتجول غارث قليلاً، ثم قرر أن يستكشف الوادي بعمق اكثر. وخاب أمل بليندا، فقد تمنت لو أنه بقي معها، ولكن روحه الاستقلالية لا تتركه يستقر في مكان واحد، وهذا ما سيعذب أية امرأة قد يتزوجها في يوم ما.

وبدأت الغيوم تتجمع في السماء، ثم تتكثف، ولكنها لم تلاحظها. كما لم تلاحظ أن غارث قد رجع، وجلس على مسافة قريبة منها يحدق بها.

كانت تسمع ضحك البنات والصبيان وهم يتجولون بعض الأحيان مفتشين عن منظر أجمل. واستلقى غارث ليرتاح على كوعه، وهكذا استرعى انتباهها. وحضرت بسرعة ورقة رسم جديدة وبدأت ترسمه، وهو ثابت في مكانه مثل الصخور التي تحيط به، مستغرق في أفكاره. وحاولت أكثر من أي شيء آخر أن تلتقط في رسمها الذكاء الذي يشع من عينيه، بينما كانتا تجولان في المكان ثم تستقران ثانية عليها. وعندما أنهت الرسم خبأته بين الأوراق الباقية. وتنهدت دون قصد فنظر إليها، ثم وقف وانضم اليها وأخذ قلبها يتجاوب خافقاً.

ـ يبدو أنك تحبين عملك.

ـ إنه حياتي...

ـ التدريس أم الرسم؟

ـ الاثنان معاً. أحب أن أفتح عيون الأولاد على الاشياء من حولهم.

ليس الجمال فقط، بل الحزن ايضاً، الظلال كما ضوء الشمس. أعلّمهم الفن، اعتقد أن هذا يعلّمهم الحياة نفسها.

ـ اذاً انت لست فنانة عصرية، أعني تلك التصميمات الغامضة والالوان التي لا معنى لها؟

ـ بالطبع أنا فنانة عصرية. ولكنني لم أترك الفن التقليدي. كل منهما لديه شيء يعطيه للآخر.

ـ مثل الرجل والامرأة؟

ـ طبعاً.. ولكنك لن تستطيع تصديق هذا لكرهك الأعمى للمرأة!

ـ أعترف أن لديّ قناعات معينة.

ـ أنت صعب المراس!

ـ حسناً.. لقد عشتي معي لفترة شهرين الآن، ويجب أن تكوني تعرفيني الآن جيداً..

ـ أنا لم «أعش معك»، وأنت تعرف هذا.

ـ ولكن زملاءك لا يعرفون هذا. ماذا تعتقدين أنهم يظنون؟

ـ لا أهتم بماذا يفكرون! كل العالم يتوقع أن يكون تصرف الفنان شاذاً، وماذا عن زملائك؟.

ـ إنهم لا يعرفون شيئاً عن حياتي الخاصة. وهم يعتقدون أني أعيش وحيداً.. لقد... وصلتني رسالة من عمتي..

ـ وأنا كذلك.

ـ اعتقد أنها قالت نفس الشيء لك... متى الزفاف؟

ـ تقريباً... ماذا ستقول لها؟

ـ لا شيء... لن أردّ على رسائلها.

ـ هكذا قالت. أظن أن هذا أمر ردي، منك. إنها عجوز رائعة...

ـ اكتبي لها عن كلينا، واخبريها بأننا نتقدم بنجاح.

قولي لها إننا نمسك بخناق بعضنا أكثر من الأول. لو كتبت أنا فماذا



سأقول؟ هل أقول لها إن لديك اثنان على الأقل يحبانك ويتوسلان إليك للزواج منك؟

ـ هذا كلام خاطيء... فهما لا يحباني بالمعنى الذي تقصده.

ـ لا؟..

ـ لا.. إنهما مجرد اصدقاء.

وضحك... وعاد الأولاد بسرعة بعد أن بدأت قطرات المطر تتساقط، وساعدها غارث بتجميع أدواتها ونظر من حوله «لنجد مكاناً نلجأ إليه» وقال صبي يدعى كنيث «هناك مغارة هناك» وتبعه الجميع ووصلوا إلى المغارة. وكانت المغارة مظلمة ولا يوجد معهم ما يشعلونه. فتجمعوا معاً قرب فتحتها، وكان هناك بعض الحجارة التي جلسوا عليها وتناولوا الطعام والشاي وهم ينظرون إلى المكان وقد غرق بالمطر. وإلى النهر الذي تسارع تدفقه كثيراً، والأغصان التي انحنت بفعل ثقل المطر. وشعرت بليندا بارتجاف من البرد المفاجيء... فتقدم نحوها وجذبها إلى قربه واضعاً ذراعه حول خصرها. فحاولت أن تبتعد عنه، لكنه قال لها بصوت خفيض:

ـ إذا لم يكن هناك شيء أستطيع اعطاؤه لك، فعلى الأقل سأعطيك بعض الدفء من جسمي. دعيني أقول لك سراً. أنا لست من حجر. لديّ مشاعر وحرارة، وعاطفة.. أنا من دم ولحم.

وارتجفت ثانية، ليس من البرد، بل من شعورها بقربه منها، ومن ضغط جسده عليها. وللود المثير في صوته. ولكنها قالت محاولة أن تسخر:

ـ لن تستطيع خداعي.

ـ هل هذا تحدي.

ـ لا...

وشدها إليه أكثر وحاولت أن تبتعد، ولكن متأخرة، فقد وجدت

نفسها بين ذراعيه، ولفترة قليلة، ثم جذبت نفسها مبتعدة عنه. وبجهد تمالكت نفسها، وقالت للآخرين محاولة إيجاد جو تستطيع التوازن فيه:

ـ المطر بدأ يخف لذا لنحاول أن نركض، لا تتركوا شيئاً خلفكم.

وأوصل غارث الأولاد واحداً واحداً إلى منازلهم، وتلقى شكرهم ولوّح بيده مودّعاً لكل منهم. وتمتم كنيث لها وهو يضحك «حظاً سعيداً سيدي، آنستي» وشكرته بلبندا بابتسامة، ولكن عندما ذهب التفتت إلى غارث:

ـ سيعتقدون الآن أن هناك شيئاً بيننا وسيقولون لآبائهم، و...

ـ ظننت أنك قلتي إن الأمر لا يهمك؟ هل كل هناك شيء بيننا... كمية ضخمة من المال.

ونظرت بلبندا من نافذة السيارة، ولاحظت أن الطريق الذي يسيران عليه لا يقود الى منزلها.

ـ أين أنت ذاهب؟

ـ لنتعشى...

ـ ولكن... بهذه الثياب؟

ـ وما بها هذه الثياب؟

ـ وجهي... وشعري...

ـ هيا.. مشطي شعرك، وضعي بعض المكياج... ولكن ليس من أجلي، أنا واثق أن نويل جيميز سيحبك كما أنت.

ـ اتأخذني إلى جيميز؟ لا أستطيع الذهاب إلى هناك...!

ـ ولماذا لا؟ إنه أفضل مطعم في المدينة. وأفضل مكان هو ما يناسب المرأة التي اختارتها عمتي لي لأتزوجها.

ـ لا تكن غبياً هكذا يا غارث، فنحن لن نتزوج...

ـ ها قد وصلنا...

وأوقف السيارة، ثم رافق بلبندا إلى المطعم، وبينما هما يدخلان وضع



ذراعه حولها وجذبها نحوه. وكان نويل يقف في الردهة. واتسعت عيناه بالدهشة، ثم انقلبت إلى عدائية عندما شاهد غارث، ولكن لتعلّمه ضبط اعصابه في عمله، ابتسم لهما ابتسامة زائفة... وأحنى غارث رأسه وقال لها هامساً «خلّصي نفسك من هذا الموقف» وزجرته بنظرة من عينيها، فابتسم لها ساخراً. ورفع نويل يده مرحباً:

ـ أهلاً بلبندا... كيف كانت الرحلة؟ من أخذك، أحد الآباء؟

ـ لا.. لقد أخذنا غارث.

ـ أوه.. هذا جيد.. عذراً يجب أن أذهب.. تمتعا بوجبتكما. سأعطي تعليماتي لرئيس السقاة ليخدمكما.. هذا أقل شيء أقدّمه لفتاتي الجميلة!

وتناولا طعامهما، وكانت الخدمة ممتازة والطعام شهي. أفضل ما يمكن أن يقدم هذا المطعم الفاخر. وكان غارث يحاول جهده أن يرضي الفتاة التي ترافقه.

وعلمت بلبندا سبب ما يقوم به.. لمجرد إزعاج نويل... الذي كان يتجول في المطعم، وفي إحدى المرات وهو يمر، وضع غارث يده على يد بلبندا، وسألهما نويل، كمدير للمطعم، إذا كانا يتمتعان بطعامهما. وأجابه غارث بكل كبرياء رجل الأعمال الناجح «بشكل ممتاز سيد جيميز! سنعود أنا وبلبندا إلى هنا مرة أخرى!».

وتركهما وذهب. والتفت إليها غارث «هل نذهب إلى المنزل يا بلبندا؟» وبينما هما يغادران توقف غارث لينظر إلى لوحات بلبندا. وحدّق بكل واحدة منها عن كثب متفحصاً. وظهر نويل ووقف عند طاولة الاستعلامات. فتقدم غارث نحوه واوما برأسه محيياً ثم دفع فاتورة العشاء. وقال:

ـ أحب أن اشتري واحدة من هذه اللوحات.

ـ ولكن يا غارث... أستطيع أن أعطيك واحدة.. لا حاجة لأن...

ـ اعطني لوحة المنظر الطبيعي، أرجوك.

والتفت إلى بلينـدا «وهل اقبل هدية من الفتاة التي أسكن معها؟ حبيبتي.. يجب أن يكون الأمر معكوساً. يجب أن اعطيك أنا الهدايا، لكل ما تقدمينه لي... من لطف».. وأعاد النظر إلى وجه نويل «كم ثمنها سيد جيميز» وذكر له نويل الثمن وتحرك نحو الجدار ليحضر اللوحة، وأخرج غارث دفتر شيكاته وقال «سأضاعف المبلغ» وتمتمت بلينـدا وهي تجذب أكمامه «غارث.. لا حاجة لذلك.. اللوحة لا تستأهل كل هذا».

فابتسم لها، ثم أخذ اللوحة التي غلّفها له نويل «أنت متواضعة كثيراً يا حبيبتي! لا يجب عليك أن تقللي من قدرك هكذا».

هل استطاع نويل أن يلاحظ السخرية في صوته والزيف في قوله؟ ولاحظت على وجهه الاضطراب والبؤس... وكان غارث قد خرج...



## ٥ ـ هل تتزوجيني؟

وثارت بلينـدا في وجه غارث طوال طريق العودة. لماذا فعل هذا؟ وما هي اللعبة التي يلعبها؟ من يحاول أن يخدع؟

ـ أتعاملني وكأني أهلك، وكأني ملكك، فتاتك! لا أعلم ماذا سيقول نويل الآن عني؟

ـ لا تقلقي. قيمتك ستزداد عنده، سيرغب بك أكثر. فالغيرة تفعل في الرجل العجب.. ألم يكن عليّ أن أحرّر الشيك لك؟

ـ لا.. نويل سيعطيني واحداً آخر، بعد حسم عمولته على البيع.

ـ أتعنين أنه يأخذ منك حصة؟

وضحك عالياً «يا إلهي! جيميز يأخذ عمولة على عمل فتاة مكافحة! صديقك هذا وُلِدَ وهو رجل أعمال. ولا عجب أن لدى أبيه هذه الثروة».

وبينما كان غارث يضع سيارته في الكراج، ركضت نحو المرسم وهي تنوي أن تغلق على نفسها، ولكنه لحق بها. كان مصدر عذاب لها أن يدخل إلى هناك، يحدق بثمار تفكيرها، بلوحاتها، التي رسمتها من الجزء اللاواعي في فكرها، التي تكشف للعين الناقدة أفكارها السرية، عمق شخصيتها. وقال لها ساخراً:

ـ أين ستضع اللوحة التي اشتريتها بهذا المبلغ الكبير؟ في غرفة الجلوس كما أعتقد. يجب أن توقعها لي وعندها سأظهر لزواري بأنني أعرف هذا الفنان.

ـ لم يكن عليك أن تدفع هذا المبلغ للّوحة.. ولكن شكراً لك إنه كرم زائد منك.

وأخذ ينظر اليها وهي جالسة على الارض قرب الأريكة.

ـ كنت كريماً أليس كذلك.. حمداً لله! لقد أصبح لدي فضيلة جيدة. أنا كريم، لا أحتمل، مصنوع من حجر، ولكنني كريم.

وانحنى ليصبح عند مستواها «ويبدو أنك تمضين وقتاً طويلاً هنا على الأرض. لماذا؟».

ـ لا أعلم. يبدو أني أفكر بشكل أفضل وأنا على الأرض. هناك دائماً مكان لم يستخدم على الأرض. الطاولات مليئة، والكراسي مغطاة، ولكن الأرض.. إنها تصرخ لمن يستخدمها.

ـ الأرض للسير عليها، وليس لرمي النفايات عليها.

ـ من الجيد إذاً أنك لن تتزوجني أليس كذلك؟ سوف تسأم من نفاياتي في وقت قصير، وأنت تتعثر بها يمنة ويساراً.

ـ إلا إذا تعلمت أن أعيش على الأرض بدوري.

ـ ليس أنت، ستبدو في غير مكانك هنا.. أنت جليل القدر، متفوق، مدير عالي الشأن.

ـ إذاً أنا لست حتى من البشر الآن؟ إذا قلتي المزيد سأثبت لك العكس!

ووقف فوقها مهدداً، وخفق قلبها، ولكنه ابتعد، وأخذ ينظر إلى اللوحات، وتوقف لينظر في مجموعة موضوعة على الجدار. وأخذ يتفحص واحدة منها، وظهر تعبير غريب على وجهه وسألها:

ـ هل هذه صورة صديق لك؟



ونهضت بليندا لتنظر من فوق كتفه، وضحكت:

ـ بالطبع لا.. إنه موديل.. نحصل على دروس حية في المعهد. ندرس علم التشريح وما إلى ذلك. نتعلم أن نرسم البشر في صيغتهم الأساسية.

ـ حسناً.. أجل.. لقد جعلتني للحظة أتساءل.

ـ تتساءل عن ماذا؟

وعادت إلى رسمها، ووقف قربها.. فقالت متسائلة:

ـ غارث.. أنت تعرف الآن نوع عملي.. أخبرني عن عملك، لقد ذكرت شيئاً عن صنع أجهزة ترانزستور للكابلات تحت المياه.

ـ أوه... يا عزيزتي، هذا أمر مختلف... كيف أستطيع ترجمة مثل هذا الموضوع العالي التقنية إلى لغة عادية؟

ـ وخاصة إلى فتاة غبية!

ـ أنت قلتي، وليس أنا.. في الوقت الحاضر نعمل في القسم الذي تصنع فيه الأجهزة. إنه يدعى غرفة العزل. لا غبار أبداً، يبدو وكأنه غرفة عمليات في مستشفى. الناس يتوجب عليهم ارتداء أقنعة على وجوههم، محكمة ضد الهواء. وهناك ضغط مستمر على مستوى معين وحرارة معينة ورطوبة معينة. ومن يعمل هناك يحصل على عصير الليمون المجاني للتغلب على جفاف الجو.

ووضع يده على رأسها وأداره لتنظر اليه، فضحكت وازاحت يده وقالت «ويبدو الأمر مرعباً. ولكن ماذا تفعل هذه الأجهزة بالضبط؟».

ـ إنها تدعى «المرددات» إنها تضخم الصوت، وتجعل الرسائل أوضح، والا لن تسمعي الرسالة أبداً.

ـ يبدو أن العمل دقيق جداً في هذه الاجهزة.

ـ لمن يعمل بها... أجل. ولكننا دوماً نحسب حساب الأخطاء البشرية، لذا نعيد فحص كل قطعة على حدة قبل استخدامها. والآن

وقد علمتني.. هل أصبحت حكيمة أكثر؟

ـ قليلاً... وهل أنت مسؤول عن القسم كله؟

ـ أجل...

ـ وهل تدير القسم بنفس القساوة والفعالية التي تدير بها حياتك؟

فاستدار اليها مبتسماً:

ـ أجل... وإلا لما وصلت إلى هذا المركز.

ـ لا عجب إذاً أنك تكره فكرة مشاركتي السكن. يجب عليك أن تعيش في شقة فخمة كاملة الخدمات كل شيء فيها جاهز وأي شيء تطلبه يصل إليك بكبسة زر، وبدلاً من ذلك تضطر إلى تحمّل طريقة عيشي غير المحتملة، وقلة نظافتي، والفوضى التي أدير بها منزلي، حتى أنني لا أستطيع مساعدتك في الطبخ.

وانتظرت أن يقول لها كلمات رقيقة، مطمئنة، وأن يؤكد لها أن قلة براعتها في الأعمال المنزلية لا تهمه، ولكنه لم يقل شيئاً، فتابعت كلامها:

ـ وهكذا ترى كم ساكون زوجة سيئة لرجل في مثل مركزك. والسيدة دونيكان تعرفنا كلانا، فكان عليها أن تعرف كم هي سخيفة فكرة زواجنا. مع المال أو بدونه، لا ألومك لعدم رغبتك في ربط نفسك بي. فأنا لست بمستواك الاجتماعي ولا العملي. والزواج بيننا بكل بساطة لن ينجح.

وصفق على يده بمسطرة كان قد التقطها وكأنه قد توصل إلى قرار ما، وأعاد المسطرة إلى مكانها، وحدّق عبر النافذة إلى الخارج:

ـ إذا كان الطقس جيداً في الغد، سأذهب لقضاء عطلة. لديّ عدة أيام عطل متراكمة من الأعياد الماضية. لذا سأوضب بعض الثياب وأذهب في سيارتي وأتخلى عن كل شيء.

ـ لوحدك؟



ـ أجل لوحدي؟ لماذا؟ أتحاولين أن تتصيدي دعوة؟ هل تنوين أن تتطفلي على عزلتي؟

واحمرّ وجهها، وقد خاب أملها لقراره بالسفر، وللسهولة التي يستطيع فيها انتزاع نفسه، من اصدقائه ومعارفه... ومنها. مما جعلها غاضبة دون سبب، فقالت:

ـ هل تظن أنني أذهب في عطلة معك؟ لا.. شكراً. ستكون هذه العطلة بمثابة أيام راحة، أستطيع فيها الخلاص من تحمل رفقتك للستة أشهر التي سأقضيها هنا.

ونظرت إليه وهو يغادر الغرفة، وكانت عيناه باردتان:

ـ غارث؟ أين ستذهب؟

ـ لا أعرف، حتى لو عرفت لن أقول لك. فقد تقررين اللحاق بي ولن أتحمل هذا.

وأغلق الباب وراءه. حسناً لقد طلبت بنفسها هذه الإهانة، أليس كذلك؟ وقد انتقم منها، ولن تستطيع لومه.

وأخذت الرسمات التي رسمتها له بعد ظهر ذلك اليوم، وأخذت تتفحص تفاصيلها، ثم حضّرت لتبدأ رسم لوحة له. لن تدعه يعرف عنها. ستكون ذكرى عنه تأخذها معها عندما ترحل إلى الابد بعد أربعة أشهر. وبدأت أولى ضربات الفرشاة في تلك اللوحة بعناية وحب.

وفي الصباح التالي، سافر غارث باكراً دون أن يودعها. واختبأت خلف ستارة غرفة النوم وأخذت تراقبه وهو يبتعد. كيف ستواجه عدداً غير محدد من الأيام من دونه؟ أن تشعر به في كل مكان، وصوته في أذنيها ولكن في غياب شخصه الحقيقي؟

ستسافر إلى أمها.. هذا هو الحل.

واستقبلتها أمها بالقبلات والابتسام القلق، واستقبلها شقيقها وشقيقتيها بعدم اكتراث معتاد. أمها بدت شاحبة ونحيلة. وبقيت هناك

لاسبوع، ولم ترتح في نومها على الاريكة في غرفة الجلوس، ولكن لم يكن عندها مكان آخر تذهب إليه. وكانت تستيقظ كل صباح لترى ورق الجدران الممزق الباهت، والسقف المشقق، والأثاث المهترىء.

لو أنها تحصل على ذلك المال، لأعطته كله لأمها لتسعدها وتريح حياتها. ولو كان هناك الكثير، لاشترت لها منزلاً آخر، في منطقة أفضل، واكبر من هذا. هذا المال محجوز، ولن يكون لها، إلا... ولكنها لن تستطيع أن تتزوج غارث. لن تستطيع أن تتزوج رجلاً يكرهها بقدر ما تكرهه. إنهما يتحملان بعضهما إلى أن تنتهي الستة أشهر.. ثم.. وداعاً... وسيخرج من حياتها إلى الأبد. سيسلخ نفسه من حياتها بالسهولة التي سافر بها هذه المرة، ما عدا أنها هذه المرة هي التي ستخرج من الباب، ولن يراقبها حتى من النافذة كما فعلت.

وشعرت بالراحة لانتهاء الاسبوع عند أمها... يبدو أنه لم يعد لها مكان ضمن العائلة. وشعرت وكأنها خرجت من حياتهم كما ستخرج من حياة غارث.

. وعادت إلى منزلها، ولكن الكآبة لم تغادرها. فقد كان بانتظارها، الجدال، والنزاع، وسوء التفاهم، مختبئة في زوايا غير متوقعة، مستعدة للقفز في وجهها. ودخلت إلى غرفتها ناوية العزلة حتى لا تقابله. ووقفت عند باب المرسم مذهولة... كان هناك، يحدّق خارج النافذة ويداه في جيوبه. واستدار، ولكنه لم يكن محرجاً كما قد تكون هي في ظروف مماثلة. وقال دون تعبير:

ـ أنا افعل مثلك.. تسللت إلى غرفتك دون إذن، ولن أعتذر.

ـ لا تهتم.. ليس لديّ شيء أخبئه.. لا شيء أبداً.

ـ لا شيء؟ إذاً من ربح معركة تفضيلك... الولد الثري اللعوب ام زميلك الفنان؟ أراهن بكل مالي على الأول. لديه مال جاهز، دون ذكر الخاتم الذي في جيبه ينتظر أن يجل في يدك حالما توافقين.



كانت تعبة، كئيبة، والعطلة التي قضتها جعلت حياتها أسوأ.

ـ لقد ذهبت عند أمي..

ـ حقاً؟

ـ أجل.. عند أمي.. واذا لم تصدقني اذهب واسألها. ليس على هاتفها بل هاتف الجيران. هاك الرقم.. هيا.. اذهب واتصل بها.

واستدار دون أن يقول شيئاً فقالت:

ـ ولماذا عليّ أن أقول لك عن كل تحركاتي؟ أنا لا اسألك عن أي تفاصيل.

ـ حياتي كتاب مفتوح.

ـ وكذلك حياتي.. ها قد عدنا من جديد... إلى الشجار والى بغض بعضنا.

وتدفقت الدموع التي كانت تنتظر الانفلات، وشقت طريقها على المسرح وكأنها ممثل ثانوي مصمم على إن يترك تأثيره. وهبطت بليندا نحو الأرض واستدارت لتريح وجهها بين يديها على الأريكة.

ورفعتها ذراعاه إلى الأريكة وأجلستها هناك وجذبتاها اليه. وكان صدره الصلب-وتنفسه الثقيل تحت خدها ويده تمسح شعرها. ولم تستطع أن تجذب نفسها عنه لأن قدرتها على المقاومة تلاشت. كانت بحاجة إلى العطف، حتى أنها كادت تطلبه، وها قد حصلت عليه. وأدار وجهها إليه بأصابع ناعمة، ونظرت إلى عينيه المليئتان بالحنان والعطف. وتمتم «أخبريني ما بك» وتدفق الكلام من فمها دون وعي.

وأنهت كلامها عن وضع اهلها بقولها:

ـ والدتي قد تكون سعيدة بي لأنني أساعدها. ولكن أشقائي... أظن أنهم يغارون مني.. ولكن بحق السماء لماذا؟

واغرقت وجهها في صدره... ثم وقف يحدق بها مفكراً. وقال «سأحضر بعض الطعام، هل ترغبين بمشاركتي؟».

ـ لا شكراً... لن أكون رفيقة جيدة لك.

ـ لعن الله الرفقة... لقد اعتدت عليك حتى الآن لأعتبرك مجرد...

وتوقف عن الكلام. وعلمت أنه قرر أن لا يخبرها كيف ينظر إليها.. ربما جزء من أثاث المنزل.. ولكنه قال «سأضع طعاماً لاثنين».

ونظرت إليه، ووجهها مشتعل، وعيناها ثقيلتان من البكاء.

ـ لماذا تظهر كل هذا اللطف؟

ـ لماذا؟ الأمر واضح، لأنك الآن بحاجة إلى صديق، إلى شيء صلب تستندين إليه.. اعتبريني ذلك الشيء... فأنا قوي، وصلب. ووقفت في وجه العديد من العواصف، وأنا هنا عندما تحتاجين اليّ، تذكري هذا دائماً.

ونظرت إلى القوة في وجهه، إلى الجاذبية في جسده، إلى أخلاقه التي يُعتمد عليها. إنه يملك الاستقامة والمبادىء والواقعية. لو أن هناك امرأة محظوظة بما فيه الكفاية كي تكون زوجته، ستجد عنده كل ما تحلم به المرأة في رجل.

ـ حسناً.. هل مقاييسي متناسبة مع الولد الثري اللعوب الذي لا زال يطلب منك الزواج؟

وأرادت أن ترد عليه... مقاييس... أنت ترتفع عنه كثيراً... ولكنها ابتسمت وقالت «وهذا سؤال من الأفضل أن لا أجيب عليه». ووضع أصابعه تحت ذقنها «كل هذا وديبلوماسية ايضاً، هناك شيء في عينيك يجب أن أرضيه» ورفع رأسها عن الأريكة ووضع وسادة خلف رأسها:

ـ قد أكون أكره النساء. ولكنني أعرف كيف أعامل المرأة، وأستطيع ايضاً أن أكون زير نساء عندما اشاء. ابقي هنا وانتظري، والحقي بي عندما أدعوك.. هل تفعلين هذا؟



واحمرّت وجنتاها وهي تنظر إلى عينيه.. لن ألحق بك بل سأرمي نفسي بين ذراعيك، دون النظر إلى العواقب. وهزت رأسها موافقة:

ـ هذا جيد... سأذكرك بالأمر يوماً ما.

وتناولا الطعام في غرفة طعامه. وكانت الوجبة لذيذة. كان يلفهما جو احتفال... ولكن بماذا يحتفلان بالضبط، لم تستطع بليندا أن تتصور.

الأيام التي تلت كانت أقرب إلى الجنة. والاتفاق بينهما استمر. لقد وضعا بالفعل حال العداء بينهما على الرف... ولكن إلى متى.. لا أحد يعرف.

وأقبل شهر أيار واقبل معه دفء الشمس. وعندما يكون غارث في الخارج... كانت بليندا تعمل في اللوحة التي ترسمها له. كانت اللوحة تبرز إلى الوجود تحت يديها، بعد كل ضربة فرشاة.

مرت ثلاثة شهور، وبقي ثلاثة قبل أن تضطر إلى مغادرة المنزل. وكان غارث في هذا الاثناء مرحاً، وعلى الرغم من الوفاق والهدنة بينهما كانت بليندا تشعر في أعماقها أنهما عندما يودعان بعضهما، لن يشعر ابداً أنها قد ذهبت.

في إحدى الامسيات حضر نويل لزيارتها، وبدّد قدومه الهدنة بينهما وقلب علاقتهما إلى حالة الحرب القديمة. فقد عانقها نويل في البردهة وكان غارث ينزل السلم، وعندما لاحظت بليندا النظرة النارية التي رمقهما بها غارث شعرت وكأنها تلقّت ضربة عنيفة، فقد عاد في لحظة إلى الرجل البارد القاسي الذي كانت تعرفه من قبل.

ـ تعال إلى فوق يا نويل... هناك لن يقاطعنا أحد.

هذه الدعوة لم تكن مصادفة. فلو أن غارث عاد إلى حالة الحرب، فلديها أيضاً أسلحة تجابهه بها.

ـ حول ذلك المعرض يا نويل... هل يناسب شهر تموز؟ أظن أنني قادرة على إنهاء كل اللوحات بهذا الوقت، ما يكفي للغرفتين في

«الغاليري» الذي قلت عنه.

ـ فليكن المعرض في تموز يا حلوتي. وماذا ستعطيني بالمقابل.

ـ أنت تعلم جيداً ما ستحصل عليه بالمقابل.. العمولة.. وعند الانتهاء كل مالك الذي دفعته عني.

ـ سأستغني عن المال إذا دفعت بطريقة أخرى، او قبلتي خاتمي.

ـ لن يكون هذا.. إنها صفقة عمل.

ـ ولكن رجل الأعمال عادة يمزج العمل بالمتعة. اكبري يا عزيزتي فالزمن يمر...

ـ إما أن تأخذ هذه الصفقة بجدية يا نويل، او انسى الأمر والمعرض.

ـ لقد ربحتي، العمل أولاً... ثم المتعة في أي وقت تقولين فيه تلك الكلمة الصغيرة «نعم».

وبعد أن بحثا تفاصيل الصفقة، حضّرت بليندا القهوة، وبعد تناولها حاول نويل ثانية أن يغازلها وصدته ثانية، وقالت له إنه يجب عليه أن يذهب، لأنه مهما حاول جاهداً لن تقبل معه. فقال لها:

ـ أستطيع استخدام القوة يا حبيبتي!

ـ لا تستطيع وغارث موجود في البيت.

ـ إذاً هو حارسك الآن.. أليس كذلك؟ ماذا بينكما؟ اذا كان هناك شيء، فلماذا لم يصعد إلى هنا ويرميني إلى الخارج؟

ـ الأمر ليس كما تظن. على كل أنا تعبة يا نويل... وأنا أشكرك على دعمك لي والاتصال بأصدقائك وتدبير كل شيء.. أنا فعلاً شاكرة..

ـ الآن أنت من تغلبت عليّ.. لقد أدرت سحرك، هكذا أنتم النساء، حسناً لقد فزتي، ولكن فقط لأن حارسك هنا. ولكن عندما لا يكون...

وحالما غادر نويل المنزل، أغلقت الباب الامامي الثقيل بقوة لأن



الزمن قد أثقل مزلاجه. وجلب الصوت غارث إلى الردهة، واتكأت بليندا على الباب. تنتظر هجومه.

ولم تكن مخطئة، فقد عادت الأمور بينهما إلى سابق عهدها.

وولت ايام اللطف والمجاملة، وعادت أيام السخرية والهزء.

ـ منذ متى وأنت عشيقة نويل جيميز؟

وطعنها السؤال كالخنجر وتوقف الدم في جسدها.

ـ ما هو دليلك الذي أوصلك إلى مثل هذا الاستنتاج؟

ـ لقد اتهمتني مرة أنني دون خيال.. يا إلهي كم أنت مخطئة! لم يلزمني الكثير لأعرف ماذا كان يجري بينكما فوق رأسي.

السخرية كانت كاملة.. اذاً لديه مخيلة، ولكنه استخدمها بشكل خاطىء!

ـ انت مخطىء... ولكن كل ما أقوله لن يقنعك.

ـ انت محقة تماماً... تعالي إلى هنا.

ولحقت به إلى غرفة الجلوس، وكانت النار مشتعلة في المدفأة، ولكن النار كانت الحرارة الوحيدة الموجودة هناك. ودعاها إلى الجلوس. ولكنها رفضت قائلة:

ـ سأخبرك بما كان يجري «فوق رأسك»! لقد كنا نتكلم... وبإمكانك أن تظهر عدم التصديق كيفما تشاء يا غارث، إنها الحقيقة. ففي تموز سأقيم معرضاً لأعمالي.. ونويل لديه صديق يملك في لندن «كاليري» وسيسمح لي باستخدام جزء منه لمساعدتي على الانطلاق...

ـ ولكن ألن يكلف هذا الكثير من المال؟

ـ انت على حق سيكون الأمر مكلفاً.

ـ اذاً من أين سيأتي المال؟ لا تقولي إن نويل جيميز سيقدّمه مقابل استرجاع بعض خدماته منك...

واحمرت وجنتاها ولكنها لم ترد... فتابع:

ـ إذاً تمثيلية «الابنة المسكينة» غير المرغوب فيها، والتي جعلتني أفكر بك بشكل مختلف، كانت زائفة.. نويل جيميز يرغب بك، وسيدفع بسخاء كي يحصل عليك.. لا بد أنك تقدّرين المال كثيراً، ربما يجب أن أجرّب يوماً ما.

ـ كم في استطاعتك أن تصبح مهيناً؟

ـ هذا لا شيء، مع الوقت قد أضاعف ما أقول...

ـ هل أستطيع الذهاب الآن؟

ـ لا... هناك الكثير بعد لأقوله..

وأشار إلى كرسي لتجلس عليه، ثم سار في الغرفة وعاد. ووقف أمامها:

ـ ذلك المال الذي ربطنا به عمتي. لو وقعت يدك عليه ماذا ستفعلين به؟

ـ لقد قلت لك... سأصرفه.

ـ على ماذا؟ على نفسك؟ على حاجاتك الشخصية؟

وحدقت فيه غاضبة. ستجعله يزدريها لدرجة أن يطردها من حياته. فابتسمت له وقالت:

ـ طبعاً.. كل قرش سأصرفه على ما أشتهيه، على البذخ الذي أحلم به ولا أملك المال لتحقيقه: الثياب، أدوات التجميل، السهرات في أفخم الفنادق، العشاء في المطاعم، الرقص...

ـ أنت تريدين المال بقسوة، حتى أنك تفعلين أي شيء للحصول عليه... حتى ولو تزوجت رجلاً تكرهينه، من دعيته مرة بالمكروه، غير المتمدن، ومن لا يحتمل، رجل لا يعرف معنى الأدب... أرأيت، أنا لم أنسَ... ومع ذلك ستتزوجينني؟

ـ أتزوجك؟ أتزوج رجلاً يكره النساء، ويكرهني بشكل خاص؟



ولكنها تمنت لو أنها تضيف إلى كلامها: رجل أحبه كما لم أحب أحداً في حياتي... وقال لها:

ـ حسناً... فكري جيداً... أنا اعرض عليكي الزواج من أجل تحرير المال وجعله متوفراً بين يديك لحاجاتك الأنانية الخاصة... فهل تقبلين عرضي؟

## ٦ ـ زواج أبيض

اول فكرة تبعث صدمة كلماته كانت: «أمي! سأتمكن من مساعدة أمي!» وكان ينظر إليها وهي تفكر فسألها:

ـ انت مترددة... لماذا؟ اخبريني هل لديك النية لقبول عرض نويل جيميز للزواج؟

ـ لا...

ـ وهل هناك نوع من الانجذاب، إذا صح التعبير، بينك وبين صديقك الفنان؟

ـ براد؟... لا.

ـ إذاً بالتأكيد الميدان خالٍ لي؟

ولم تستطع أن تجد رداً، وسار نحو المدفأة وحدق بالنار قائلاً:

ـ في الحقيقة لم اكن أتصوّر أنني من النوع الذي قد يتزوج. ولم يكن في نيتي أبداً أن أضع خاتماً في اصبع امرأة. ولكن بسبب مناورة ماكرة وواعدة من عمتي، اندفعت نحو وضع لا مهرب منه. فإذا لم أتزوجك ستخسرين ذلك المال، ومعرفة أنني سبب حرمانك منه سوف تطاردني لما تبقى من حياتي... ولكن إذا تزوجتك...

وصمت طويلاً، ثم استدار من مواجهة اللهب، وأعطى ظهره للنار، وتابع:



ـ لقد اعترفتي بأنك تريدين المال الذي ستعطيك إياه عمتي.. هل تقومين... وأكرر.. هل تقومين بعمل أي شيء للحصول على هذا المال حتى أن تتزوجيني؟

ـ حسناً... أنا...

ـ أجيبي على سؤالي فقط!

ـ أجل يا غارث!

وأمسك بيديها المتشابكتين، وأبعدهما عن بعضهما، وسحبها لتقف على قدميها.

ـ حسناً.. سأسألك رسمياً... هل تتزوجيني؟

وتنفست نفساً عميقاً «سأتزوجك يا غارث!».

ـ شكراً...

وترك يديها وتحرك نحو النار ثانية ثم التفت إليها:

ـ سيكون زواجاً بالاسم فقط. لن يكون هناك شروط. لن يكون عليك واجبات زوجية.. لن المسك، إلا إذا طلبتي مني بالطبع! سيكون القرار لك بالكامل. وبالنسبة لي ستأخذين اسمي ولا شيء آخر. وسنستمر بالعيش مفترقين وبعيدين كما نحن الآن. وستحصلين على المال، وسيرتاح ضميري. هل هذا يرضيكي؟

وأرادت أن تقول لا يا غارث.. أرادت أن تبكي، أرادت أن تصرخ.. أنا أحبك. كيف سأتمكن من البقاء بعيدة عنك؟ ولكن إذا كان هذا ما يريده.. فهل تستطيع الرفض؟ إنه يصنع معها معروفاً... يضحي بحريته... والسماء تعرف بماذا ايضاً، فعليها أن تطيع قوانينه! وقالت بهدوء «هذا يرضيني يا غارث» وفكر للحظات ووقف قائلاً:

ـ هناك شرط واحد، سأطلب أن تلتزمي به... سوف تلغين كل علاقتك بنويل جيميز...

ـ ولكن يا غارث، معرضي، الذي يساعدني فيه..

ولكن النظرة في عينيه أوقفتها عن الكلام فهمست قائلة:

ـ «حاضر يا غارث... ولكن... ولكنني عملت جاهدة لأحقق هذا المعرض».

ـ إذا كنت لن تتحملي فراق المال الذي ستحصلين عليه بعد الزواج، فبصفتي زوجك سأصرف على المعرض.

بعد صمت قصير مشحون.. تابع كلامه:

ـ غداً سأشتري خاتمين: واحد لخطوبتنا والآخر لزواجنا، الذي سيتم الأسبوع القادم، سأحصل على ترخيص خاص، وتبعاً للظرف الراهن سيكون زواجاً هادئاً، هل لديك اعتراض؟

وهزت رأسها بالنفي.. فتابع «هل تريدين حضور عائلتك».

ـ أجل... أرجوك يا غارث.

ـ والداي غائبان في جولة حول العالم، سأبرق لهم بالخبر... وتستطيعين دعوة من تشائين من أصدقائك. وسيكون اثنان من زملائي شاهدان. أعلم أن على اهل العروس إجراء الترتيبات ولكن بالنسبة لنا أمك لا يمكنها ذلك.

ـ انا آسفة يا غارث... ولكن...

ـ لا لزوم للشرح... أفهم الوضع تماماً، وأتحمّل كامل المسؤولية...

ـ شكراً لك لتفهمك!

ـ سأحجز طاولة عشاء في أحد افخم الفنادق، وبعدها نعود إلى هنا لن يكون هناك شهر عسل بالطبع..

ـ أوافق على كل شيء تقوله..

ـ يا الهي! ما هذه الطاعة! كم انت راغبة بهذا المال! الأفضل أن تشتري لك ثياباً جديدة للحفلة وللمناسبات القادمة. إنك على وشك أن تصبحي زوجة مدير عام عالي المقام في مؤسسة عالمية والزوجات تعتبر مساعدات للرجال في مثل هذا المركز...

ـ لا حاجة لأن تشعر بالخجل مني.. صحيح أنني من عائلة غير مرتاحة مادياً... ولكنني لست جاهلة للواجبات الاجتماعية... أعدك أن لا أخذلك، وسأجعلك فخوراً بي...

وحدّق بها للحظات ثم تركها وانصرف.

كان غارث قد وعدها أن يأخذها من المنزل بعد انتهاء موعد المدرسة لشراء الخاتمين... وبعدها سيحصل على الرخصة الخاصة بالزواج. وكانت بليندا قد اتصلت بأمها وأخبرتها عن الزواج. وبدت أمها مسرورة، بعد دهشة المفاجأة، ثم تقبّلت الوضع دون سؤال. وأبلغتها بليندا أن غارث سيدفع لها مصاريف الانتقال.

وبينما كانت بليندا ترتدي ثيابها للخروج مع غارث، دق جرس الباب. وخفق قلبها لدى سماعها الصوت. إنه زائر بالتأكيد. هل نسي غارث مفاتيحه؟ ولكن غارث لا ينسى شيئاً.

ووقفت امرأة شابة عند الباب تبتسم، مدت يدها قائلة:

ـ آنسة هامر... لقد قال غارث إنك ستكونين موجودة.

وحدقت بها بليندا... المرأة طويلة، أنيقة الثياب، وجميلة... وقالت المرأة: «أنا لوسيا اغنيس، صديقة غارث... أنا أعرفه من الأرجنتين. لقد أتيت إلى هنا لقضاء بعض الاعمال» ومدت بليندا يدها مصافحة اليد الممدودة:

ـ أنا آسفة آنسة أغنيس، أرجوك أن تعذريني... لقد كانت مفاجأة لي..

وضحكت المرأة:

ـ آسفة لأنك لم تعرفي بقدومي.. بالمناسبة أنا السيدة اغنيس. لقد وصلت يوم أمس إلى لندن، وأتيت إلى هنا صباحاً.. وكنت

أعرف أين يعمل غارث، فاتصلت به وأعطاني عنوان المنزل وقال إنني سأجدك هنا. لقد علمت منه أنك مدرّسة.

وأخذت بليندا تفكر، الخواتم التي سنخرج لنشتريها، ترخيص الزواج... ماذا سيحصل الآن؟ هل أخبر صديقه بالخطّبة والزواج القادم؟

وقادت بليندا ضيفتها إلى غرفة الجلوس.. وقالت لوسيا:

ـ لن يتأخر غارث عن الوصول. قال لي على الهاتف إنه سيأتي حالما يستطيع... هل تعيشين هنا؟

وأخبرتها بليندا كيف أن عمة غارث كانت تدعمها في أعمالها، كي تشتهر لوحاتها؛ وكيف أنها سافرت تاركة المنزل «براين ثورب» لبليندا وغارث مشاركة، وتابعت «لديّ مرسم فوق».

ـ وهل هو ملي، بلوحاتك؟. كم أحب أن أراها!

في المرسم، أعجبت لوسيا بأعمال بليندا، وقالت لها بتقدير إن المرء ليس بحاجة لأن يكون خبيراً بالفن ليدرك قيمة لوحاتها.

ـ أحب أن أشتري لوحة... ولكن أعتقد أنها غالية الثمن؟

ـ سأعطيك لوحة لو شئتي.

وسُرّت لوسيا بالفكرة... ولكن يجب عليها الانتظار لتعرف أين ستبقى في المستقبل: في لندن أم تعود إلى الارجنتين؟ وجلستا على الأريكة، ثم قالت لوسيا:

ـ لقد كان زوجي صديقاً لغارث. وكان كثير السفر، وفي إحدى المرات تحطمت طائرته.. وتركني مع طفلين. وكان غارث رائعاً معي بعد وفاة زوجي. حتى إنه دعمني مالياً إلى أن وجدت عملاً.. أنا أعمل الآن سكرتيرة. وأنا بارعة في اللغات.. وهذا يساعدني في عملي.



هكذا إذاً.. عندما ترى بليندا غارث على انفراد.. ستحله من وعده. إذ لا تستطيع أن تبقي رجلاً على ارتباط معها وهو كاره، رجل لا يحبها، عرض عليها الزواج فقط بسبب وصية عمته الحمقاء.

عندما دخل من الباب قال صائحاً: «هل حضرت لوسيا؟».

ـ إنها هنا يا غارث في المرسم.

وصعد السلم قفزاً، وللحظة حدّق بزائرته وحدّقت به، ثم تقدمت منه ووضعت يديها على ذراعيه، ووضع يديه حول خصرها، وقبّلها على خدها ثم أبعدها عنه قليلاً وتمتم:

ـ أنت جميلة أكثر من الماضي... تعالي معي إلى غرفة الجلوس.. أرى أنك تواقة للحديث. سآخذك لتناول الطعام.. بليندا... اذهبي إلى غرفة الجلوس وسألحق بك.

وهزت لوسيا رأسها وخرجت، وردد غارث.

ـ بليندا.. يجب أن نؤخر ذهابنا لشراء الخواتم إلى الغد.. أعتقد أنك لن تعارضي؟

ـ غارث.. إذا كنت تريد...

ولكن غارث كان قد خرج ليلحق بلوسيا.

عندما حان وقت النوم، لم يكن غارث قد عاد.. وفي الصباح كان المنزل خالياً منه كما كان في الليلة السابقة، لقد بقي طوال الليل في الخارج، لقد بقيّ مع لوسيا..

ونهضت من سريرها وارتدت ثيابها.. وبينما كانت تتحضر للذهاب إلى عملها رنّ جرس الهاتف:

ـ بليندا؟ أنا غارث. أنا في لندن، لقد أوصلت لوسيا إلى الفندق. لقد تأخرنا كثيراً، فلم أعد إلى المنزل... لقد بقيت هنا.

ـ فهمت...

ـ أرجو أن لا تكوني قلقة، في الواقع أعتقد أنك لم تفتقدي لي. أليس كذلك؟

أفتقد لك!.. لقد طاردني طيفك طوال الليل!

ـ ليس بالضبط... غارث إذا كنت تريد أن أحلّك من وعدك الآن وقد عادت لوسيا.. فلا مانع عندي.. انسى أمر الخطبة. تظاهر أنها لم...

ـ سأعود وقت الغداء. وبعد موعد المدرسة سآخذك لأشتري لك الخواتم. وهذه المرة لن أخيب أملك.

خاتم الزواج كان عريضاً من الذهب، وخاتم الخطوبة كان مستديراً مرصّع بالألماس. ووضع خاتم الزفاف في علبة، ووضع خاتم الخطوبة في إصبعها، دون احتفال، دون قبلة، حتى ولا ابتسامة.. وفي الشارع خارج المحل شكرت بليندا غارث ولكنه لم يجب. وفي الطريق حاولت أن تخبره بأنها لن تمانع إذا غيّر رأيه، وسحب عرضه.. ولكنه لم يردّ. وأغضبها تصرفه البارد فقالت له متحدية:

ـ ماذا تنوي أن تفعل؟ أن يكون لك زوجة بالاسم في المنزل ترعى شؤونك المادية وعشيقة في لندن تهرع إليها عندما تحتاج لحنان امرأة وحبّها؟

ـ إذاً استمريت بهذا الكلام، سأعتبر أنك تغارين.. وهذه ستكون مسألة غير مريحة في علاقتنا، وهي تعني أنك ستورطيني بحالة عاطفية قد لا أستطيع تحملها. وهذا ليس ضمن اتفاقنا...

ـ ولكنك ستتزوجني... فكيف تستطيع التكلم هكذا؟ ألا يعني الزواج لك شيئاً؟

ـ أنت تعرفين لماذا سأتزوجك، لذا لا تتظاهري بهذه البراءة. أنت تجرين وراء المال، ولا أنوي أن يبقى وزرك في ضميري طوال



حياتي.. وتستطيعين أن ترفضي الزواج مني.. ولكنك ستكونين وكأنك ترفضين المال أيضاً...

وبقيت صامتة... فقال لها بلطف:

ـ لا.. في الواقع لا أعتقد أنك ستتراجعين وتلك الثروة في متناول يدك.

ثوب الزفاف الذي اختارته بليندا كان باللونين الزهري والأبيض. وأطرى الناس بعد المراسم على مظهرها الجميل... أثناء المراسم بكت والدتها قليلاً. واستمر براد بالابتسام وقد اقتنع بخسارة «فتاته» وزملاء غارث، الكثر، كانوا مقتنعين أن زواجهما هو عن حب. وجرت تعليقات عن مهارته في إخفاء سيدة أحلامه، وكيف أنه خدعهم بتظاهره بكره النساء.

وأخذت «فلاشات» آلات التصوير تعمل، وطلب منهما أن يقبلا بعضهما، وصاح أحدهم «انظر في عينيها» ونظر غارث في عينيها ولكن كان ذلك وكأنه ينظر الى مرآة في ضوء رديء.

وأقام غارث حفل استقبال في أفخم فندق، وبعد تناول العشاء تدفقت التهاني والأمنيات من الأقارب والأصدقاء. ووصلت برقية من والدتي غارث «غبطتنا بسماع النبأ كبيرة.. لقد تغلبت على كرهك للنساء. غبطتنا مماثلة للترحيب ببليندا في العائلة... الحب لكما معاً». وجرى التصفيق وشرب الأنخاب للوالدين الغائبين. وهمست والدة بليندا «لم أجلب الصغار معي.. ليس لديّ مال لأشتري لهم ثياباً جديدة».

ـ تبدين رائعة يا أمي.. هل هذا ثوب جديد؟

ـ أجل الثوب والمعطف، ولكنني استعرت القبعة والقفاز.

لقد أحببت غارث يا عزيزتي. يبدو لطيفاً ويعتمد عليه. أتمنى لك السعادة. لا تتأخري بإنجاب الأطفال...

ـ أمي . . سأستمر بالعمل. لقد قررنا أن هذا أفضل. . . على كل أنا لا زلت في الثالثة والعشرين.

وامتدت يد غارث وجذبتها إليه.

ـ ألا توافقين على اختياري لزوجتي يا حماتي؟

وعانقها بشدة، ومض «فلاش» آلة تصوير وصاح أحدهم:

ـ إذا كان هذا ما تدعوه «كراهية المرأة» فكيف سيكون شكلك وأنت «محب للمرأة» يا غارث؟

وتمسك بفتاته أكثر وقال مبتسماً لها:

ـ اسألوا زوجتي بعد أشهر من الآن.

زوجتي! يا لها من كلمة. . غارث ماضٍ بتمثيليته إلى النهاية باتقان. وكأنه فخور بها. . ويحبها. . . وقال لحماته:

ـ يجب ان تأتي لزيارتنا. . . لا تتأخري علينا، واحضري الأولاد معك. أريد أن ألتقي بأخي الصغير الجديد وبأخواتي الجديدات. ربما عندما أراهم سأعرف كيف كانت تبدو زوجتي عندما كانت بعمرهم.

زوجته ثانية! إنه يبالغ في التمثيل. وضغطت بليندا على يده محذّرة فاستدار وابتسم لها. كان يعلم بالضبط ماذا يفعل، ولا شيء في الدنيا سيوقفه، وبالطبع ليس ضغطة يد.

وانتهى الاحتفال، وأوصلتهما سيارة العريس إلى المنزل بعيداً عن المرح، والوجوه المبتسمة، وتمنيات الحظ. وفي ردهة المنزل وقفا ونظرا إلى بعضهما.

وأمسك بيدها ونظر إلى خاتم الزفاف الذهبي، ثم نظر إلى الكلام المنقوش فوق باب غرفة الجلوس وقرأه بصوت مرتفع:

«غبي الرجل الذي يتخذ زوجة في حياته، فيوم زفافه هو يوم مماته».

وجذبت يدها من ذراعه.



ـ ولكنك لا زلت حياً. . قد نكون متزوجين. ولكن لا تعتبر نفسك مقيداً بي. كان الزواج فكرتك.

ـ تصحيح. . . إنه فكرة عمتي!

ـ ولكنك كنت حراً. . . ولم يكن عليك أن تستسلم لهواها.

ـ لسوء الحظ، لدي ضمير شديد التأثر. ولديّ أكثر من شك في أنها كانت تعرف هذا. وهذا يعني أنها أيضاً كانت تدرك أنني إذا استمريت في الوقوف بينك وبين المال فإن ضميري اللعين لن يتركني أرتاح لما تبقى من حياتي.

وتركها في الردهة لوحدها وذهب. وبدل مسك الأيدي والضم والحديث العذب، كان هناك الفراغ، والتنهد، وصدى يرن في داخلها وظلال مجهولة للمستقبل. اذا كان هذا في أول يوم زواج لها. . فماذا يخبىء لها المستقبل؟

وخرجت نحو الحديقة، ووقفت تتنشق عطر الأزهار والورود، رائحة المساء التي تعبق في الجو، ولكنها سرعان ما عادت إلى المنزل، وأقفلت الأبواب، غير قادرة على التمتع بالهدوء والصمت بينما هي في داخل نفسها تتعذب.

وصعدت إلى غرفتها، وخلعت ثوب زفافها وعلّقته في الخزانة. وارتدت ملابس عادية وخرجت حافية القدمين إلى المرسم ولكن بدل أن تأخذ الفرشاة لترسم، وقفت تحدق خارجاً عبر النافذة. ولم يكن هناك شيء مألوف في المشاعر التي في داخلها. وفتح باب المرسم، فاستدارت. كان غارث يرتدي ثياب الخروج وسألته بصوت حاد «أين أنت ذاهب»؟

ـ سأخرج. . لماذا؟ هل تريدين أن أبقى؟ لقد وعدتك أن لا أمسك إلا بناء على دعوة منك! هل ستأتي الدعوة بسرعة؟

ـ إنه اتفاق عمل. . ليس أكثر بيننا. أنت قلت هذا. لقد وعدتني.

وأخرج ورقة من جيبه وقال وهذه وثيقة الزواج، ورماها على الأريكة، وشكرته ثم نظرا إلى بعضهما.

ـ هل كان عليك أن تدعو أمي لزيارتنا؟ كيف تستطيع أن تأتي؟ وذلك الكلام عن لقائك بأشقائي، هل كان عليك ان تنافق إلى هذا الحد؟ كل ما أظهرته لي من حب، كان كله زائف ولا معنى له.

ـ لقد كان يوم زفافنا. كان عليّ أن افعل شيئاً نتذكّره بشيء من السعادة. حتى ولو كان سيبه لؤم سيدة عجوز. وكيف توقعتني أن أتصرّف، وكأنني في جنازة؟ ولديك الجرأة لدعوتي بالمنافق، يا إلهي.. كم أنت ناكرة للجميل! بعد كل ما فعلته لأجلك لا أجد سوى الانتقاد والإهانة. لقد حصلت على خاتمي في يدك، فلا تطلبي أكثر. تمتعي قدر ما استطعت بثروتك.. ولكن لا تعتبريني هدية على البيعة.

بعد بضعة لحظات سمعت الباب الخارجي يقفل، وحدّقت في الارض لتجد بأنها تميل بها، ورمت نفسها على الاريكة، وخبأت وجهها بين ذراعيها وبكت إلى أن أقبل الظلام.

وأمضت أطول، وأوحش ليلة عرفتها في حياتها. ولم يعد غارث تلك الليلة. اليوم التالي كان يوم الأحد، وشعرت بأنه لن ينتهي.. وعاد غارث قرابة المساء. ولم تذهب لرؤيته ولا هو سعى لرؤيتها.

وأخذت ترسم.. العمل وحده كفيل بإبعاد تفكيرها عن مشاكلها.. وتساءلت أين كان يا ترى. هل ذهب إلى لندن ثانية ليرى لوسيا؟ هل يحاول تعذيبها بقضاء ليلة زفافه مع لوسيا بدل قضاءها مع زوجته الشرعية؟

وخرجت إلى المدرسة باكراً صباح الأثنين. واتصلت بالمحامي من هناك وأخذت منه موعداً وقت الغداء.. واستقبلها بدعوتها السيدة غاردنر، وصافحها بحرارة. وتفحص وثيقة الزواج وقال لبليندا إن المبلغ الشهري قد اصبح الآن لها. وسيرسله لها كل أول شهر، ولكنها طلبت



أن يذهب المبلغ مباشرة إلى أمها.

ولكن المحامي اعترض قائلاً:

ـ لا أظن أن السيدة دونيكان تحب أن يحدث هذا.. فالمبلغ لاستخدامك الشخصي سيدة غاردنر..

ـ إذا كان المبلغ لي، فبالتأكيد من حقي أن أقرر ماذا افعل به.. أليس كذلك؟

وهز المحامي رأسه بالإيجاب..

ـ إذاً انا أريد أن أعطيه لأمي! أهناك مانع؟ على كل لدي زوجي الآن ليصرف علي. وهذا الأمر يجب أن يبقى سراً. لا أريد أحداً ابداً، حتى زوجي أن يعرف بالأمر.

ـ سيبقى هذا سراً...

ذلك المساء.. كتبت رسالتين، واحدة لأمها، تعلمها بوصول المال إليها بانتظام من الآن وصاعداً، والرسالة الأخرى للسيدة ايلين دونيكان تخبرها فيها بزواجها من حفيد شقيقها، غارث غاردنر.

بعد بضعة أيام على الزفاف، اتصل بها نويل جيمز وبادرها قائلاً:

ـ حبيبتي! أرجوك أن تقبلي اعتذاري، لقد تخليت عنك لفترة طويلة، ولكنني كنت مشغولاً جداً.

وبهتت بليندا عندما سمعت صوته. لقد قال لها غارث ان تفسخ الصداقة بينهما.. إنه أحد شروط الزواج. ولكن ماذا ستقول له؟ لست صديقتك بعد الآن.. ودائماً؟

ـ أهلاً يا نويل.. جميل أن أسمع صوتك.

ـ أنستطيع أن نلتقي؟ سأدعوك إلى العشاء، غداً الساعة الثامنة مساء.

ـ نويل.. أنا.. آسفة.. لأنني... تزوجت!

ـ أنت ماذا؟

ـ لقد تزوجت يا نويل.. تزوجت... غارث غاردنر.
ـ وهل لي أن أسأل، متى؟
ـ الست الماضي.
ـ أليس هذا أمر مفاجئ!... ليس الأمر حالة...
ـ لا.. ليس كذلك.. أخرج الفكرة من رأسك!
ـ آسف، كنت أفكر بصوت مرتفع... ولكن لا يمكنك لومي.
وسمعت شخصاً يتحرك خلفها، وهمس لها:
ـ أنت تعرفين ماذا قلت.. انهي علاقتك بنويل جيميز.

ـ نويل حول معرض اللوحات.. زوجي.. هو من سيدعمني الآن ولكن.. ولكن أشكرك جداً يا نويل.. لكل...
ـ إذا كنت لن أشارك فيه يا حبيبتي، فهو ملغي. فصاحب «الغاليري» صديقي. ونحن نعمل معاً. بدوني ليس هناك غاليري، وليس هناك معرض. تستطعين القول لحارسك الذي أصبح الآن زوجك، إنه يستطيع توفير دعمه المالي.
وأقفل الخط. لم يكن عليها أن تفسخ الصداقة. لقد فعل نويل هذا عنها. وكان غارث يقف متكئاً على باب غرفة الجلوس وقال لها:
ـ هذه نهاية علاقة رائعة. لقد تحطم قلبي. ألن تنحني على جسك الضائع؟
ـ أنا لن أحصل على المعرض. لقد قال إذا لم يشارك به فلن يكون هناك تسهيلات لاستخدام «الغاليري». وبسببك خسرت أكبر فرصة لي. هل أنت مسرور الآن؟ لماذا لا تبتهج بانتصارك؟ لقد خربت مستقبل العملي. ولن أحظى بفرصة أخرى أبداً.
ـ أبداً...
وبدأت بالبكاء. فقال لها:



ـ يا زوجتي العزيزة.. هناك أمكنة أخرى للعرض.
ـ أنت لا تفهم. إن الأمر صعب جداً على فنان غير معروف أن يحظى بمعرض يقبل حتى النظر إلى لوحاته. عليك أن تدور في كل لندن حاملاً الرسومات. وعليك أن تدع مدراء المعارض يتفحصونها، وينتقدونها، ويشيرون إلى أخطائك. وقد يقول البعض إنها جميلة، ولكن لا تناسبهم، وهذه طريقة مهذبة لقول «اخرج من هناء.
ـ استخدمي كمية المال الضخمة التي في حوزتك الآن. ستساعدك بالتأكيد لدفعك إلى عالم الفن.
ـ بهذا أنت تحطين لا تستطيع شراء عالم الفن.
ـ وماذا يدفعك للظن أن عملك ليس بمستوى أن يكتسب عطف أصحاب المعارض عن جدارة؟

ـ لن أخدع نفسي.. أنا فنانة جيدة، ولكنني لست لامعة. وعليك أيضاً أن تضع الإطارات للوحاتك بنفسك، وهذا يكلف المال، وسيكون هناك إيجار الغرف في المعرض، ومصاريف الدعاية في مجلات الفنون. والصحف، والدعوات دون ذكر تدبير مقابلة مع الصحافة، والنقاد وما شابه.
لن أستطيع تدبير أمري بمفردي.. كان نويل سيساعدني.
ـ نويل.. دائماً نويل.. إذاً كان هناك نويل في حياتك طوال الوقت؟
ـ لا لم يكن الأمر هكذا! لم يكن!
ورمت نفسها على الدرج وبكت «كل هذا العمل» وانتحبت «لقد ذهب سدى» ووقف يراقبها.
ثم رفعتها يداه عن الدرج، وقادها نحو غرفة الجلوس، ونزع قطعة القماش الملطخة بالدهان التي كانت تمسح بها دموعها وأعطاها منديلاً كبيراً قائلاً «أظن أن هذا أنظف، أقل تلويناً ولكن أكثر فعالية» فشكرته

وجففت دموعها. وجلس قبالتها وابتسم «أنت تبدين وكأنك إحدى لوحاتك».

صحيح؟

ـ أليس هناك غاليري في البلد؟ ألن يكون معرض محلي افضل من لا شيء. وأقل كلفة بكثير؟

ـ ربما، ولكن لن يكون له نصف الأهمية التي لمعارض لندن.

ـ أنا أعرف بعض أعضاء المجلس البلدي.. سأقوم بالتحري..

ـ شكراً لك..

ووقفت «سأغسل لك المنديل» ولم يحثها على البقاء. بل هز رأسه. وعندما وصلت إلى الباب قال:

ـ أنا آسف بشأن المعرض.

وهزت كتفيها وتابعت طريقها.

كان يلتقيان عند الإفطار كل صباح، ولكن نادراً ما تبادلا الحديث. ومرة، بينما كان غارث يدخل الحمام، خرجت هي منه، شعرها مبلل ومسترسل، تعبق منها رائحة الصابون الذي استخدمته. روبها كان مفتوحاً، فلم تكن تعرف أنها ستلتقي بزوجها، وثوبها الداخلي كان قصيراً ويكشف الكثير، وقد ارتفع عند الخصر، متعلقاً بالمنشفة التي كانت تجفف بها شعرها.

ونظرا الى بعضهما لثوانٍ.. وأحست بليندا أن انفاسها قد علقت في رئتيها، تكافح لتخرج. شعرت بتأثيره عليها، بالجاذب الرجولي الذي يجذبها كطوق حول رقبتها. وكان عليها ان تكبح جماح نفسها لتبقى بعيدة عنه.

وتحولت عيناه فيها. وتحرّك نحوها، ولكنه كبح نفسه فوراً وأدار ظهره لها ودخل إلى الحمام، وأقفل الباب وراءه. وركضت نحو غرفة نومها، وأغلقت الباب واتكأت عليه. تصرفها هكذا، جاء من عمق



مشاعرها. إنه زوجها والرجل الذي تحب، وأدركت الآن كم تتوق إليه بعمق، أن يحملها ويجعلها زوجته، لا بالاسم بل بالفعل.

LILAS.COM

## ٧ ـ قلبي الخائن

سرّت والدة بليندا سروراً عظيماً بهدية ابنتها من المبالغ الشهرية المنتظمة. واتصلت بها في المدرسة في وقت الغداء. إنها تستطيع الآن أن تتحمل مصاريف إجراء مثل هذه المكالمة المكلفة. وسألتها اذا كان الأمر مناسباً.. وهل تستطيع أن تتدبر أمرها دون هذا المبلغ.

وشعرت بليندا أن الأمر يستحق كل هذا العناء، لتسمع سعادة أمها تكاد تقفز من الهاتف، إنها تستطيع الآن إعادة فرش منزلها، وان تشتري للأولاد بعض الملابس الجيدة، وشراء سجاد وستائر جديدة...

وكتب ايلين دونيكان رسالة مليئة بالسرور لبليندا. وعنونت رسالتها «أعزائي المتزوجان حديثاً» وأضافت في النهاية «أرجو أن لا يطول الوقت قبل أن تنجبا لي ابن ابن ابن أخ أو بنت».

عندما قرأ غارث الرسالة، ابتسم ورفع حاجبيه، محاولاً التعليق ولكن نظرة التحدي التي رمقته بها بليندا أجبرته على السكوت. وطوى الرسالة وأعادها إلى المغلف قائلاً «لا تصدميها.. دعيها تحلم أحلام الحب... فستعود بالتدريج أن تتقبل عدم ظهور طفل. فلن يكون في هذا البيت «وقع أقدام صغيرة...».

في إحدى الأمسيات دعاها إلى غرفة مكتبه. كان جالساً إلى طاولته، ولكنه وقف بطريقة رسمية عندما دخلت وطلب منها الجلوس. وفكرت



ببؤس أنه يتصرف وكأنها غريبة عنه أتت لزيارته بخصوص عمل ما. ولكنها اكتشفت بعد بضع دقائق أن هذا فعلاً ما أراد أن يراها بخصوصه.

جلس.. ثم حرك كومة من الأوراق امامه وأخذ يقلبها:

ـ هذه فواتير اشياء عادية مثل الكهرباء والوقود وما شابه، كذلك لتصليح وصيانة المنزل. عندما عشنا معاً هنا في البداية. قلت كرجل محترم تماماً إنني سأتقبل مسؤولية هذه الأمور دون أن آخذ أي مال منك. ولكن منذ زواجنا، تغيرت الظروف، وإضافة إلى راتبك كمدرّسة، تتلقين الآن مبلغاً محترماً. وأظن أن الوقت قد حان لأن تدفعي حصتك من هذه الفواتير.. ألا تظنين هذا؟

ـ ولكن.. ولكننا متزوجان الآن...

ـ بالضبط.. وهذا جعل مزيداً من المال يصل إلى يدك. وهذا كان هدف المسألة كلها.. أتذكرين؟

وأخذت تفكر.. بما أنها تعطي أمها الآن المبلغ الآخر، فهذا يعني أن راتبها لا يمس.. وهذا بالتأكيد يكفيها لتغطية حصتها من الفواتير التي يتحدث عنها.

ـ أجل.. أجل يا غارث.. سأدفع.. حصتي..

ـ عليّ أن أضيف أن هناك فواتير أكبر ستأتي. ربما لم تلاحظي أن أجزاء من المنزل بحاجة إلى إصلاح. يجب مثلاً أن ننتبه للاهتراء الذي قد يصيب الخشب؛ والمنزل بحاجة إلى ديكور جديد من الداخل والخارج. ونحن بحاجة إلى سجاد جديد في الغرف، في الردهة وعلى السلم، دون ذكر ستائر جديدة في غرف الاستقبال والجلوس... هل توافقين على كل هذا؟

بينما كان يتحدث شعرت بذعرها يتصاعد، وأمسكت برقبتها:

ـ حسناً.. حتى أكون صادقة لم أكن أفكر بكل هذا...

فتنهد، وأرجع جسمه إلى الوراء وقال:

ـ أعتقد أن هذا هو الجزاء الذي عليّ أن أدفعه لزواجي من فنانة حالمة. إنها تعيش في عالم خيالي لا يمت ابداً عالم الواقع...

وأطبقت يديها.. أمامها مشكلة الآن.. من أين ستجد كل هذا المال؟ من مدخراتها.. لا بد أن تسحب من مدخراتها، وأن تبيع بعضاً من لوحاتها....

بعد ظهر أحد الأيام اتصل بها غارث، عندما كانت قد وصلت لتوها من المدرسة:

ـ لوسيا هنا.. وسآخذها لتناول العشاء.. أعتقد أنك لا تعارضين؟

أعارض؟ بالطبع أعارض؟.. كيف تأخذ صديقتك إلى العشاء ولا تأخذني؟ أنا زوجتك؟ ولكنها قالت له بكبرياء:

ـ تستطيع أن تخرج مع كل النساء اللواتي ترغب بهن.. أنا لا أهتم...

ـ ألا تهتمين؟

ـ لا.. فلن أكون لوحدي.

ـ وماذا تعنين بكلامك؟

ـ لديّ لوحاتي... أليس كذلك؟

وأقفلت الخط، ثم فوراً طلبت رقم براد:

ـ براد.. أنا وحيدة. سيكون غارث في الخارج هذه الأمسية. أتحب أن تأتي لتؤنسني؟

وعلمت أنها إنما تطلب المشاكل، هكذا شعرت عندما تردد براد قبل أن يرد. ولكنها لم تهتم، فغارث زوجها سيخرج مع امرأة أخرى. فلماذا لا تستطيع هي أن تكون مع رجل آخر؟ براد مجرد زميل لها.. وهذا كل شيء، لا يعني لها سوى أنه صديق...

ـ طبعاً يا عزيزتي، ما الأمر، هل تشاجرت مع زوجك؟

ـ بالطبع لا... الأمر فقط...



ـ لقد فهمت.. سآتي عندك بعد العشاء.

عندما فتحت له الباب كانت في حالة بائسة، فدعته للدخول.

ـ تعال لتشاهد لوحاتي.

فضحك وقال «هذه دعوة تقليدية».

ـ أنا أقصد هذه الدعوة.. ولكن ليس بالطريقة التي تفكر بها.

ـ لقد أرحتني.. فلا أظن أنني أناسب أن أكون ثالث زوايا المثلث. وأعتقد أنني لا أهتم أبداً بمواجهة غضب زوجك إذا شك في أنني.. حسناً.. ما يقال له عادة، نوايا شريرة تجاهك.

ـ غارث؟ لم يهتم أبداً.. هل أقول لك الحقيقة؟ إنه سيخرج برفقة امرأة أخرى هذه الليلة.

ـ أوه.. لقد عرفت الآن دوري في اللعبة...

ـ قل لي.. ما رأيك بعملي.. هذه هي اللوحات التي كنت سأعرضها. ولكنني الآن لن أفعل بفضل نويل جيميز. ولكن غارث اقترح أن أقيم معرضاً محلياً.

ـ هذا ممكن.. أنا أعرف صاحب المكتبة العامة في البلد، وهو أيضاً المسؤول عن معرض الفنون. سأتحدث معه.. إذا رغبتي.

ـ أوه.. هل تفعل هذا لأجلي يا براد؟

ـ أمر غريب كيف أن اصدقاءك من الرجال يحضرون لإنقاذك دوماً.

ـ ليس لديّ اصدقاء يا براد.. ولا واحد.

وادارت عيناها الواسعتين الحزينتين إليه، فأشار إلى كتفه وقال:

ـ أتحبين أن تبكي علي كتفي؟

فضحكت، وهزت رأسها بالنفي. وتحدثا عن الفن لفترة طويلة. ثم سألته بليندا «أتحب أن تشرب شيئاً؟»

فأجابها بالإيجاب.. «اذاً تعال إلى المطبخ معي لنحضّر القهوة». بعد أن حضّرتها قدمت له فنجاناً. واستغرقا في الحديث حتى أنهما لم يسمعا

الحركة من خلفها، ونادى غارث:

ـ بليندا...

وجفل براد، ولكنها وضعت يدها على ذراعه وأجابت:

ـ أهلاً غارث لم أسمعك تدخل المنزل.

ـ لقد وصلت لتوي.. أنا آسف واستدار وخرج.. ثم عادت بليندا وبراد الى المرسم. وتابعا حديثهما وكأن شيئاً لم يكن. وضحكت بليندا للفكاهات التي كان يقولها براد، بصوت عالٍ، أكثر مما تستحق، وأدار غارث الراديو عالياً حتى أنهما اضطرا إلى رفع صوتهما ليسمعا بعضهما، كان هناك لمعان زائف في عينيها ونوع من الهستيريا في ضحكاتها، إلى أن سمعت صوت الباب الخارجي يصفق. وعلمت أن غارث لم يعد يسمعها. لا بد أنه الآن سيعيد لوسيا إلى الفندق.

ـ سأذهب الآن، قبل أن يعود محبوبك.. فلا أحب أن أشاهد منظر شجاركما عندما يعود.

ـ لن يعود.. على الأرجح سيمضي الليل كله خارجاً يا براد.. كل الليل..

ـ لا تقلقي يا عزيزتي.. لا شيء من الممكن ان يكون بالسوء الذي تظنينه.

وخرج تاركاً بليندا تحدق بالجدار. ولم يعد غارث سوى بعد وقت طويل، وكانت لا تزال جالسة تحدق بالجدار. حتى عندما سمعت صوت أقدامه تصعد السلم، بقيت حيث هي.

ووقف بالباب ينظر اليها.

ـ لقد أخرجت نويل جيميز من حياتك، وها أنت الآن قد ملأت مكانه بزميلك الفنان لقد استغليت غيابي القصير.. أليس كذلك؟ هل تمتعت بوقتك؟ هل كان عند حسن ظنك؟

ـ ولم لا... هل يجب ان تحصل على المرح لوحدك؟ لماذا أحرم نفسي



لمجرد أنني زوجتك؟ ولكنني لست زوجتك أليس كذلك؟ أنا لست زوجتك؟

وحذّرها شيء في داخلها بأنها تثيره، ولكنها لم تهتم. وأمسكها وجذبها عن الأرض.

ـ وهل هذا ما ينقصك؟ إذا كان هذا، فأنا أستطيع أن أعطيك إياه بالكامل.

وجذبها إليه.. وحاولت التخلص، ولكن لم تجد القوة لمقاومته. وقالت شاهقة:

ـ لقد وعدتني.. قلت إنك لن تلمسني إلا...

ـ ماذا كنت تفعلين إذاً، ألم تطلبي مني؟

ـ لا.. لم أكن أطلب منك! أنا أكرهك.. أكرهك!...

وتركها، فسقطت على الأريكة، ووضعت وجهها بين يديها وأخذت تنتحب... وتركها وخرج.. وعرفت في أعماق قلبها أنها قد أفسدت شيئاً بينهما.. شيء كان ينمو ويتطور في داخلها حتى دون إدراك منها.

بعد هذه الحادثة، انطوى غارث على نفسه. كانا يلتقيان دوماً ولكن دون تبادل كلمة واحدة. وللسخرية، أصبحت بليندا شاعرة بوجوده أكثر من الوقت الذي كانت فيه علاقتهما حميمة. كلما اقترب منها في المطبخ أو في الردهة. شعرت ببشرتها تقشعر، ومشاعرها تتوتر. ولكنه بدا وكأنه لا يهتم بها أكثر من ظل على الجدار.

في صباح أحد الأيام عند تناول الإفطار قال لها فجأة:

ـ بعد بضعة أيام، أتوقع وصول زائر، أحد كبار المسؤولين في المكتب الرئيسي في نيويورك ـ سينزل في الفندق، ولكن بصفتي مسؤول الفرع هنا، يتوقع مني أن أستقبله في بيتي في إحدى الأمسيات.

واستجابت له بشوق، لأنه تحدث معها، وقلبها يخفق:

ـ أجل.. أجل بالطبع يا غارث!

ـ أتوقع منك أن تحضري وجبة طعام.
ـ وجبة طعام؟ ولكن.. غارث أنت تعلم أنني لا أجيد الطبخ...
ـ على الأقل حاولي.
ـ طبعاً سأحاول، ولكن..
ـ ثقي بنفسك قليلاً..
وحدّق بها، ثم تركها وذهب الى عمله.
كانت تريد كثيراً أن ترضي غارث، فذهبت إلى السوق يوم زيارة الرجل واشترت بعض اللحم. وفي المساء، وقبل أن يحضر غارث ضيفه، وضعت كتاب الطبخ أمامها وأخذت تتبع التعليمات، وأخيراً أصبحت الوجبة في الفرن، والخضار مقطعة، والحلوى جاهزة وموضوعة في البراد.
في غرفة الطعام، أعدّت المائدة، ووجدت شمعتين ملونتين أدخلت طرفهما في عنق زجاجتين قديمتين. وفتشت عن الملاعق والسكاكين الفضية فوجدتها، ولكنها كانت غير لامعة كفاية، ولا يمكن أن تنظفها جيداً قبل وصول الرجل. ووضعت كؤوس الكريستال على المائدة.
وحان وقت لبسها.. وفتشت ضمن ثيابها، وتمنت لو أنها سألت غارث ما إذا كان يرغب في أن تظهر بثياب رسمية أو عادية، ولكنها اختارت البساطة، فانتقت ثوباً أبيضاً بسيطاً له ربطة عنق جميلة، وحزام أسود، وارتدت حذاء أسود.
وشعرت بالتوتر وهي تنزل السلم، وتمنت لو تهرب إلى مرسمها وتغلق على نفسها الباب حتى تنتهي السهرة. لم تكن قد لعبت دور المضيفة من قبل، وهذه الزيارة مهمة جداً لغارث.. لو أنها فقط تستطيع أن تتصرف كزوجة حقيقية أن تشعر كزوجة حقيقية!
وسمعت صوت المفتاح في قفل الباب، ثم فتح وكان الرجل يقرأ الجملة المكتوبة فوق باب المدخل، ثم قال «هذا الكلام رائع يا غارث»



وشاهد بليندا واقفة في الردهة بخجل، فمد يده ليسلم عليها سلاماً حاراً:
ـ سيدة غاردنر؟ سعيد بلقائك.. أنا فعلاً سعيد بلقائك.
ثم استرعى انتباهه الجمل الأخرى المكتوبة في الداخل فوق الأبواب، فتحرك ليقرأها، ضاحكاً بصوت مرتفع:
ـ لا بد أن من كتبها يكره النساء هل هو أحد أسلافك يا غارث؟ ولكنك لم ترث مشاعره وهذا واضح. مع زوجة مثل زوجتك؟ لا أستطيع التصديق!
ـ بليندا.. هذا السيد سترونغ.. رودريك سترونغ.. سيد سترونغ هذه زوجتي بليندا.
ـ لأجل السماء يا رجل، نحن لسنا في العمل. ادعوني رود.. بليندا.. وانت أيضاً.
فابتسمت بليندا ورفع رود يديه!
ـ لديك زوجة جميلة يا غارث إبتسامتها كالشمس المشرقة!
ـ إنها ليست جميلة فقط، إنها فنانة أيضاً...
ـ اتعني أنها رسامة؟ أترسم لوحات؟
وأحنت بليندا رأسها وقالت:
ـ في الواقع أنا معلمة فنون، ولكنني أمضي وقت فراغي بالرسم.
ونظرت بخجل إلى زوجها «هذا يبقيني بعيدة عن طريق غارث».
وضحك رودريك سترونغ، وقدّم له غارث شراباً، ثم الى بليندا ورفع كأسه قائلاً: «لنشرب نخب زوجتي الجميلة الكاملة» وركز نظره على بليندا، فشاهدت لمحة من السخرية في عينيه. وجلس على ذراع كرسيها. وأخذ يدها بين يديه وبدأ يعبث بأصابعها قائلاً:
ـ سأقول لك سر... إنها فنانة عظيمة، ولكنها لا تعرف كم هي عظيمة.

واحمّرت وجناتها من الخجل لتقديره هذا، ولكنها قالت لنفسها إن هذا كلام زائف، وإنه يقول هذا لإسعاد ضيفه.

ـ ماذا ترسمين يا بليندا؟ هل ترسمين الأشياء القديمة القبيحة مثلي؟

ـ أنت لست قبيحاً سيد.. يا رود. في الواقع وجهك يثير الاهتمام!

ـ صحيح؟ هل تعنين هذا؟ ارسميني إذاً.

وفتش في جيوبه عن ورقة «هيا ارسميني» وأخذت ترسمه بينما استمر الحديث، وقال غارث وهو يمثل دور الزوج النبيل الفخور بزوجته:

ـ في الواقع إنها تريد عرض لوحاتها. وآمل أن أقنع بعض المسؤولين المحليين ليسمحوا لها باستخدام معرض الفنون هنا لعرض أعمالها.

وتمتمت بليندا دون قصد «لقد قال براد..» ثم توقفت مذعورة.

ـ وماذا قال براد؟

ـ لا شيء.. لا يهم.

وسألها رودريك:

ـ اين هي لوحاتك.. لا بد أن لديك مرسم في مكان ما؟

ـ إنه موجود فوق.

ـ هل نستطيع أن نصعد ونرى لوحاتك.

ـ أرجوك رود.. بضع دقائق أخرى فقط...

ـ آسف يا بليندا لا استطيع إلا أن أتحرك، اسألي غارث، أعتقد أني لن أستطيع الجلوس لترسمني لي لوحة، من سيرسمني يجب أن يركض ورائي والفرشاة بيده محاولاً اللحاق بي!

ـ ها قد انتهيت..

ورفعت الرسم ليراه غارث «هل هو جيد؟»

ـ جيد؟ يا حبيبتي إنه رائع! أريه لرود!

وتنهد رود قائلاً: «يا إلهي! كم أنا سعيد برؤية عصفوريّ حب مثلكما! تعالي أيتها الشابة دعيني أرى وجهي» وأخذ الرسم منها وصاح:



ـ إنه جيد.. جيد.. وقعي لي عليه هنا، لديك شيء رائع في يديك ورأسك.. أين هذه اللوحات يا غارث؟ خذني لأراها.

في المرسم أخذ رود يتجول، يلتقط الفراشي، العلب الفارغة، أنابيب الدهان. وأرته بليندا لوحاتها، فتفحصها واحدة واحدة، معجباً بها، مقدّراً لها، دارساً لكل تفاصيلها. وطوال الوقت سار غارث ويداه في جيوبه، ينظر الى الرسمات المتناثرة، والرسمات التي لوّنتها. وقال رود وهو يرفع إحدى اللوحات:

ـ أستطيع فهم رسومات الأشخاص، وأواني الفاكهة، مزهريات الزهور.. ولكن هذه.. وهذه.. إنها أبعد من تفهمي الفني... هيا قولي لهذا الشخص غير المثقف.. ما هذه؟

ـ إنها فن تجريدي، في الواقع بسيطة جداً. انظر اليها وكأنها رموز، وكأنها تمثل شيئاً.. أترى.. في الفن، يتم التعبير عن الشعور الإنساني بالرموز.. الفنان يستخدم الأشكال والألوان ليعطي المعاني..

ـ أتعنين أن كل هذه الأشكال ولطخات الألوان تقول شيئاً؟

ـ في أعماقي هناك مشاعر أستطيع أن أعبّر عنها بطريقة يومية عادية، وها هي، على الورق لا بالكلمات، ولكن بخطوط وأشكال وألوان.. لغة الفن.. وأنا أحب أن ألعب بالأشكال. هل لاحظت أن هناك نماذج محددة، نماذج عادية رمزية في الطبيعة؟ ليس فقط أشكال ندف الثلج التي نعرفها كلنا، بل أشياء مثل ذرات الغبار وقفير النحل والدبور وحتى قطع من المرجان والكريستال؟

ـ تابعي كلامك.. لقد سحرتيني...

ـ هناك نموذج عادي تكوّنه الريح عندما تضرب رمال الصحراء. ونفس النموذج موجود عند الشواطىء من صنع المد والجزر، تستطيع أن تجد نماذج جميلة بين الأصداف وأجنحة الفراشات وهناك نماذج ورموز في كل الطبيعة، وكل منها له خاصيته وهدفه.

ـ هل هذا صحيح؟ ويقال إن الفنانون حالمون!

ـ هناك الكثير من علوم الطبيعة والهندسة في الرسم، دون ذكر ضرورة معرفة علم التشريح وما شابه.

ـ وهل تعلمين كل هذا للأولاد؟

ـ للكبار غالباً. أما الصغار فلهم أسلوب آخر.

ووقف رود قائلاً «أهنئك يا غارث على حسن اختيارك لزوجتك إنها امرأة عظيمة.. فعلاً عظيمة!»

ـ هل عرفت الآن لماذا أردتك أن تلتقي بها؟

ـ يا رجل.. لديك شيء تفتخر به. هل هذه اللوحات للبيع؟ سأشتري العديد منها. قولي السعر الذي يناسبك؟

فضحكت بليندا «آسفة يا رود، فأنا أتأمل أن أعرضها. بعد ذلك قد يكون هنا ما أستطيع بيعه».

ـ سأكون قد رحلت.

ـ حسناً.. ممكن أن استغني عن بعضها.

ـ جيد.. هذه الفتاة الشابة؟

ـ إنها فتاة ادرّسها، تستطيع أخذها.

ـ وهذا الشيء الملون؟ إنها عظيمة، سأعلّقها في منزلي، وسأكون مسروراً وأنا أراقب الناس تحاول فهمها! أتعرفين ماذا سأقول لهم؟

سأقول إن الفنانة نفسها لا تعلم ما هي! والآن هيا كم ثمنها؟

وعندما ذكرت الثمن صاح «وهذا فقط؟ أنت مجنونة؟ غارث عليك أن تضع رأساً تجارياً فوق أكتاف هذه الفتاة».

ـ رود صدقني إنها بارعة، وهي تمتلك الحس التجاري. وليست بحاجة إلى تعليم...

ونظرت بليندا إلى ساعتها بذعر، «الطعام!» وأسرعت نحو المطبخ وقلبها يخفق. كان الجو عابقاً بالدخان، من الطعام المحترق! اللحم في



الفرن، والخضار فوق النار كل شيء قد تلف! لقد نسيته كله.. كيف استطاعت أن تنسى، وهناك ضيف مهم عندها؟ ولحق بها غارث، ثم رود، وأخذت بليندا تصرخ:

ـ غارث.. لم يبق شيء لنأكله، كل شيء احترق.. أوه يا غارث أنا آسفة.. آسفة..

وأخذت تبكي.. وأحاطها بذراعه وضمّها اليه، وخبأت رأسها في كتفه وتعلقت به وهي تنتحب «لا أمل بي.. لست نافعة».

وربت رود على ذراعها.

ـ هيا يا عزيزتي.. لا تبكي.. إنها غلطتي.. لقد شغلتك بالكلام!

ما رأيك يا غارث لنذهب للعشاء في الفندق.

وأبعدها غارث عنه قليلاً وقال:

ـ ما رأيك يا حبيبتي؟ لا نستطيع فعل شيء آخر، أليس كذلك؟ هيا غيّري ملابسك... سأترك لك عشر دقائق.

وهزّت رأسها، ثم ركضت نحو غرفتها.. عشر دقائق.. ليس الوقت كافياً لتغير ملابسها.. وترتب شعرها وتعيد تزيين وجهها.

ووضعت نصب عينيها مركز غارث، والمكان الفخم الذي سيتناولون الطعام فيه، فأخرجت من الخزانة، ثوباً من المخمل الأزرق الغامق، بطول الكاحلين عالي الياقة، دون أكمام ويكشف عن الكتفين.

وقبل أن ترتديه، شاهدت غارث يقف بالباب.

ـ قلت لك عشر دقائق...

وأخذ يتفحصها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، وفي حركة دفاع عن النفس، مدت يديها بسرعة والتقطت الفستان.. ولكنه قال «انتظري!».

وتقدم نحوها ببطء ليقف أمامها، وجذبها نحوه وتمتم:

ـ ألم يحن الوقت بعد لأن تتخلي عن موقف «لا تلمسني» الذي تبنيته

ضدي؟ ألم يحن الوقت بعد لتدركي كم أنت سهلة المنال بالنسبة إليّ؟ ونحن نعيش لوحدنا في هذا المنزل إذا كنت تظنين أنني سأنتظر إلى ما لا نهاية لأحصل على ما هو حقي بالقانون...

وتحركت يداه لتجذبها أكثر.. تجاوبها معه أذهلها... لو أنها سمحت له بالمضي أكثر.. سيكتشف الحقيقة، حقيقة أنها تريده، ليس «كشريك عمل» بل كامرأة تريد زوجها الذي تحبه.

وتصلبت بين يديه، وكأنها لا تطيق لمسته، فتركها فوراً، وابتعد:

ـ اذاً فأنا أثير فيك النفور؟ يا للأسف. كان يجب أن تفكري بهذا قبل أن تقرري أن تنالي حبي واحترامي والعناية بي. أحببت هذا أم لا، احببتني أم كرهتني، فقبل أن تمر أيام سأقتلك يا فتاتي، سأقتلك جسداً وروحاً.

ـ لقد وعدتني.. وعدتني أن لا تلمسني إلا....

ولكنه تركها وخرج.

في المطعم جلسوا يتحدثون انتظاراً لطعامهم، وتحدث الرجلان عن العمل أكثر الوقت، وأخذت بليندا تسلي نفسها بمراقبة الناس، واعتذر رود لأنها تجاهلاها لفترة.. وبعد انتهاء وجبة العشاء قال رود «هل هناك مكان للرقص هنا؟» فرد عليه غارث «إنه في القاعة التي خلف قاعة الطعام».

ـ لقد ظننت هذا، فقد سمعت الموسيقى، هيا اذهبا وارقصا. أعلم تماماً كيف يشعر الشبان المحبون.

وأخذ غارث يدها وقادها إلى قاعة الرقص، كانت الموسيقى ناعمة، فأخذها بين ذراعيه، وأمسك بها وكأنها من ضروريات جسده، كتنفسه... ودخل رود بعد قليل ونظر حوله، ورفع يده لهما، ثم دخل المقهى... وجلس يتحدث إلى أحدهم وهو يشرب، ويحدق بهما طوال الوقت.. هل مظهرهما يذكره بأيام شبابه الضائعة؟ لم يكن هناك شك



لدى بليندا، أن غارث يمثل دور العاشق بشكل مقنع وكأنه كذلك فعلاً.

عندما عادا للانضمام إلى رودريك سترونغ في مدخل الفندق قال لها:

ـ عندما تأتيان لزيارتنا في أميركا.. سأجعلك ترسمين لوحة لزوجتي قرب المدفأة في بيتنا الريفي.. ستحب ذلك كثيراً.. لدينا شقة أيضاً في المدينة.. خذها معك يا غارث عندما تسافر إلى أمريكا.. أتعرف، أنت ولد محظوظ. أنتما ولدان سعيدان، افعلا المستحيل لتبقيا هكذا.

وقبّل بليندا على خديها، والتفت لغارث:

ـ سأراك غداً صباحاً قبل أن أذهب إلى لندن...

ورفع يده بالتحية وذهب.

رحلة العودة الى المنزل كانت ثقيلة وصامتة. وعندما أغلقا الباب وراءهما قالت بليندا:

ـ أنا آسفة يا غارث بخصوص وجبة الطعام. فأنا طباخة سيئة، ولا أنفع كزوجة أيضاً. ولا أعلم لماذا تزوجتني؟

ـ أنت تعرفين جيداً لماذا تزوجتك! لقد كنت مجنوناً.

ـ أنا آسفة لأنني لست عند حسن ظنك، حتى أنني لا انفع أن أكون مضيفة منزل لك.

ورن جرس الهاتف، فرّد غارث ثم أعطاها السماعة:

ـ بليندا هامر.. أعني غاردنر.

ـ أنا براد.. من رد عليّ.. شبح؟

ـ إنه.. زوجي.

ـ آه فهمت، هل يغار؟ لا؟.. لا تصدقيه.. كنت أحاول الاتصال بك طوال السهرة.

ـ كنا في الخارج نتعشى ونرقص..

ـ آه.. كل شيء على ما يرام بينكما إذاً. حسناً يا حلوتي لديّ أنباء سارة لقد اتصلت بالمشرف على «الغاليري» في المدينة، وقال إن هناك فرصة لاستخدام «الغاليري» كمعرض لمدة اسبوعين، بعد ثلاثة أسابيع وأخبرته عنك وقال إنه سيكون سعيداً لرعايتك.

ـ هذا عظيم يا براد! لديّ خمس وعشرين لوحة. هل تكفي؟

ـ إذا بقي فراغ نضع فيه بعض رسوماتي. وبالنسبة للإطارات هناك صديق على استعداد لمساعدتي..

ـ براد.. هذا جيد جداً! لا أعلم كيف سأبدأ.

ـ سنبدأ فوراً.. هل أنت مشغولة مساء الغد؟ سنتحدث حول الأمر.. عندي أو عندك؟

ـ عندك يا براد، أظن أن هذا أفضل.

ـ حسناً... سآخذك مع اللوحات، وسنبدأ فوراً. سيكون أمامنا الدعاية في الصحف، والاتصال بأهم شخصيات المدينة وما إلى ذلك.. ألست مسرورة يا حلوتي؟

ـ رائع يا براد، وكأنني في حلم.

ـ قولي الخبر لشريك حياتك.. كم أود رؤية رد فعله.. أراك غداً...

كان غارث يقف عند باب غرفة الجلوس:

ـ لماذا كانت المكالمة؟

ـ معرضي بعد ثلاثة أسابيع أي بنهاية حزيران..

أليس هذا رائع يا غارث؟

ولكنه هز رأسه ببرود، ودخل غرفة الجلوس. وحدقت بالباب نصف المفتوح... هل عليها أن تدخل عليه عاصفة، مطيحة بالحواجز التي يحيط نفسه بها، لتجبره على الكلام، على ان يستمع لها؟ وإذا فعلت، فإلى ماذا سيقود هذا؟ ألن يفسّر العمل وكأنه «الدعوة» التي قال إنه



ينتظرها منها؟ وتنهدت ثم صعدت السلم الى غرفتها.

على الإفطار، في الصباح التالي قال لها:

ـ عندما كان السيد سترونغ هنا الليلة الماضية شعرت بالإحراج لحالة أثاث المنزل.. ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لأن نفعل شيئاً حول الأمر؟

ـ أتعني السجاد وما شابه؟ أعتقد أن معك حق.. متى...

ـ الأسرع هو الأفضل.. ألا تستطيعين أن تذهبي للتسوق بعد المدرسة؟

ـ أنا.. أتسوق؟ ولكن.. ولكن ألن تأتي معي؟

ـ ليس من طبعي.. آسف. سأترك الخيار لك.. أنت فنانة ولديّ كل الثقة بذوقك. أنت تعرفين لِنسجام الألوان وما شابه.

ـ وماذا بخصوص الدفع؟

ـ الدفع؟ ظننت أننا اتفقنا على أن تشاركي بدفع حصتك؟

ـ أتعني أنني يجب أن أدفع ثمن السجاد؟

ـ ولماذا لا؟

ـ ولكن يا غارث.. ستكلف ثمناً باهظاً.

ـ طبعاً.. سأتوقع منك أن تختاري الأفضل.

ووضعت يداها على خديها.. بحق السماء.. ماذا ستفعل؟ هل تستخدم مدخراتها؟ ولكن ماذا ستفعل غير هذا؟

ـ أنا آسفة.. ولكن للثلاثة أشهر القادمة يجب أن لا تعتمد على مالي.

ـ ولكن عليك أن تشتري السجاد اليوم. اشتري شيئاً جيداً. يبقى لفترة طويلة.. على الأقل مدة زواجنا.

ونظر إليها نظرة ساخرة وتركها وغادر المنزل.

في المدرسة، تناقشت مع براد حول المعرض:

- هل تريدين أن أتولى أمر الدعاية للمعرض؟
- هل تفعل هذا لأجلي يا براد.. أوه كم أرغب في معانقتك.
- لا يوجد هنا سوى دزينة أشخاص فقط.. هيا عانقيني...

وجالت بليندا بعد الظهر في المدينة من متجر إلى متجر إلى أن أصبحت ضائعة تماماً بالألوان والنماذج والنوعية والأسعار. وفي النهاية اختارت سجادتين، إحداهما لو اشترتها. ستبتلع نصف مدخراتها. والأخرى، وهي الأفضل نوعية، ستبتلع كل المدخرات. ولم يكن أمامها أي بديل.. فقد قال غارث «اشتري الأفضل». وهكذا اشترت السجادة الغالية الثمن.

وعندما أخبرت غارث بالأمر قال:

- أعتقد أنك دبّرت موعد قدومهم لتركيبها في المنزل؟
- تركيبها؟ لا.. لم أفعل.. نسيت.. أنا آسفة.
- إذاً من تعتقدين سوف يدبر أمرها؟
- أنت.
- ولكن هذا عمل محترفين.. وأنا لا أعرف من أين أبدأ.
- ولكن يا غارث هذا سيكلف كثيراً...
- أخبريني.. على ماذا بالضبط تصرفين مدخولك الشهري؟ هل تأخذينه وتوزعينه على الفقراء والمحتاجين؟ فأنا لا أرى أي دليل على صرفك المبلغ على لبسك أو حياتك.

الفقراء والمحتاجين..! إنه لا يعلم كم اقترب من الحقيقة!

- أنا.. أنا أصرف المبلغ على نفسي... معداتي وأدواتي وما شابه.
- هل تستثمرين المبلغ؟
- أجل.. أجل.. هذا صحيح.. أنا أستثمره.
- ومن يقوم بتقديم النصح لك.. هل لي أن أسأل.
- إنه.. إنه المحامي.



- مهما يكن.. عليك أن تتصلي بالمتجر وتطلبي إرسال احد ليركب السجادة.

أمضت بليندا معظم امسيات الأسابيع الثلاثة التي سبقت المعرض في شقة براد، وقابلت غوردي الصديق الذي يساعده بالاطارات، وانتقت نوعاً مناسباً من الإطارات، وراقبت الرجلين وهما يعملان، وصنعت لهما القهوة ونظفت المكان.

وتمتعت بليندا بهذه الأمسيات. وكانت تذهب الى المنزل مليئة بالسرور والحيوية، والترقب. في البداية سألها غارث بغضب «أين كنت؟» ثم بعد يوم أو يومين قال:

- هل من الضروري أن تمضي كل هذا الوقت في شقة زميلك؟
- طبعاً ضروري. مجرد سؤالك يظهر قلة خبرتك بالموضوع.
- حسناً اخبريني عنه.
- إنه.. حسناً إنه.. لا فائدة.. لن تفهم عن ماذا سأتكلم..
- أنا لا افهم بالفنون.. أليس هذا ما تعنينه؟ بمعنى آخر أنا لست مثقفاً.

- لم أقل هذا يا غارث... اتمنى.. اتمنى..

وأخذت تفكر.. أتمنى لو أنك تضع ذراعيك من حولي، تحميني، وتبني الجسور فوق الهوة التي بيننا.. عندها لن يعود أي شيء مهم، ولن يهم أن ننظر إلى العالم من زوايا مختلفة.. واستوى في جلسته وسأل:

- ماذا تتمنين؟.. ماذا تتمنين؟
- أن أتحدث معك حول الفن، أن ألتقي معك حول قواسم مشتركة.. أتمنى لو أنك تفهمني..
- أفهمك كزميل فنان أم كزوج؟ أم كحبيب؟

وبما أنها توصلت الآن لما تريد.. فقد أصبحت خائفة، وبينما أحاطت بها ذراعاه، كانت رغبتها فيه تغرقها، تسحبها الى الأسفل،

والتيارات تحملها بعيداً...

طالما لا تزال تملك أنفاسها، قوتها، يجب عليها أن تقاوم. إنه لا يحبها. كل ما يريده هو أن يثبت حقوقه عليها كزوج، وعلى هذا الأساس لا تستطيع، ولن تسمح له أن يحقق ما يريد. وقاومته بضعف حتى تركها.

وقفت أمامه مصدومة ترتعش.

- هذا ليس إنصافاً منك.. لقد قلت إن ما بيننا ترتيبات عملية. زواج بالاسم. وإنك لن تلمسني حتى..

- يا إلهي يا امرأة.. انا من البشر. كم تتوقعين مني أن أصبر..؟ تقولين إنك تتمنين أن أفهمك وأن نلتقي حول قواسم مشتركة... وعندما احاول أن أقدم هذه القواسم...

- وما الفائدة؟ اذا كان ما تجده من قواسم هو جسدي؟ وروحياً نحن عالمان منفصلان، وما فائدة ممارسة الحب لأشخاص مثلنا. وماذا يبقى لنا بعد أن ننتهي؟

- بحق الله يا بليندا.. سنبقى لبعضنا.. ألن نكون؟ وماذا تعرفين عن الحب.. وما يتبعه..؟

ومررت يدها على جبينها.. أهذا ما يقصده؟

- إذا كنتي بهذه الخبرة التي تبدو عليك.. فبحق السماء سآخذ ما هو من حقي أردتي هذا أم لا. ولو كنت أثير نفورك، أو ستكرهينني بعد أن أنتهي.

وتحرك نحوها ثانية، فتجنبته وهربت صارخة:

- أنت لا تفهم.. لن تفهم أبداً..

وأغلقت باب غرفة نومها بالمفتاح ووقفت وظهرها إلى الباب تشهق وتبكي.. وهي خائفة...



## ٨ - رحل في المساء

وصلت السجادة وركّبت، وجرى دفع الفاتورة، وهكذا تبخرت مدخرات بليندا، ونظرت إلى الردهة والسلم بإعجاب للتغيير الذي بدا فيهما. ولو أن غارث قد اعجب بذوقها إلا أنه لم يقل لها شيئاً.. فقد عادا إلى صمتهما ثانية.

وتمنت بمرارة لو أنها فنانة جيدة بما فيه الكفاية لترى ما تحت سطح مظهر زوجها الخارجي، ولكن دفاعاته، بالنسبة لها، كانت غير قابلة للاختراق. ولم تستطع ان ترى سوى، البرودة الظاهرة، الحقد، والتعسف غير المتسامح الذي اختار أن يتبناه نحوها، والصمت الرهيب بينهما.

يوم افتتاح المعرض.. سألته «هل ستأتي لحضور المعرض هذا المساء؟».

- لم أتلق دعوة.

- أوه يا غارث أنت زوجي.. ولهذا لم يبعث لك براد دعوة.

- وهل أنا زوجك؟ ما كنت لأعرف لو لم تقولي لي...

- أرجوك يا غارث... أريدك أن تحضر.

أريدك أن ترى اللوحة التي رسمتها لك.. إنها القطعة الأساسية في المعرض.. الجميع يقول إنها رائعة... ولكن كل هذا بقيّ في ذهنها ولم تقل له شيئاً... واستمر الصمت لحظات طويلة ثم قال:

ـ لديّ مؤتمر هام اليوم وغداً. واجتماع اليوم قد يستمر إلى ساعة متأخرة..

ـ إذاً لن تأتي؟

ـ سأحاول.. ولكنني لا أستطيع أن أعدك.

لو أنه أراد معاقبتها لما استطاع أن يختار طريقة فعالة أكثر. ولكنها لن تدعه يتشفى برؤية خيبة أملها. ورفعت رأسها كي تقابل الاساءة بالاساءة..

ـ جيداً.. على كل، براد سيكون هناك.

ـ إذاً لن تفتقديني.. أليس كذلك؟

واخذت نفساً، وهي تكاد أن تبدأ بالإنكار، ولكنها رأت البرودة في عينيه فتوقفت، ثم استدارت وصعدت إلى غرفتها...

وسمعته يقول من خلفها:

ـ أتمنى لك حظاً سعيداً...

وأجابته بحدة «شكراً لك» ووقفت تراقبه وهو يخرج إلى عمله.

طوال أمسية الافتتاح، وما بين أصوات الضحك، والشراب، والاستماع للتقديرات حول عملها، أخذت بليندا تنتظر قدوم غارث. لوحته سيطرت على كل المعرض، ووقف الناس أمامها معجبين ومعلقين.. وسألها مراسل صحافي محلي:

ـ أهي لزوجك؟ لقد فهمت، واعتقد أنها ليست للبيع.. ولكن لا بد أنك تلقيت عروضاً لها؟

ـ العديد من العروض ولكن...

وتدخل براد قائلاً:

ـ إنها تريدها لعرضها في معارض قادمة ستقيمها قريباً..

وقال المراسل:

ـ دعوني أعلم متى وأين سيقام المعرض القادم.. سأقوم بتغطيته!



وقال براد: «لقد بعت خمس لوحات يا عزيزتي، وتلقيت طلبات لثلاث أخرى... الأمر على ما يرام هذه الليلة.. ألم يظهر الرجل الكبير بعد؟».

ـ لن يستطيع المجيء. لقد أخبرني بهذا.

ـ لن يستطيع أم لا يريد أن يقوم بمجهود ليرى أول معرض لزوجته؟

ـ ليس الأمر هكذا يا براد. لديه مؤتمر... حسناً.. لقد تشاجرنا ولم يسامحني على ما قلته له.. ها قد علمت الآن.

ـ آسف لم أقصد أن أزعجك.. ولكن بطريقة ما.. يجب على أحد أن يفعل شيئاً بخصوص زواجك هذا.. إنه يحطمك.

قبل موعد انتهاء المعرض لتلك الليلة، وصل غارث، وإلى جانبه امرأة عرفتها بليندا، إنها لوسيا، وقف غارث إلى جانبها ينظر من حوله.

«براد» وأمسكت بيده لتشعر بالطمأنينة «وصل غارث».

ـ انظري من أتى معه. من اين التقطها؟

ـ إنها أرملة صديق له عندما كان في الأرجنتين.

ـ ليس في الأرجنتين فقط يا عزيزتي... لديك الآن منافسة لك.

ـ براد.. لا تذهب.. تعال معي..

ورآهما غارث أخيراً، وبينما هما يقتربان لاحظ أيديهما المتشابكة وقالت بليندا وعيناها تلمعان بسعادة مصطنعة:

ـ حبيبي... رائع أنك استطعت الحضور! وأنيت معك بالسيدة اغنيس أيضاً. هذا جيل هيا ادخلا وانظرا بنفسيكما إلى اللوحات.

وحدّق غارث بوجهها الساخر بارتياب، وترك لوسيا، وتقدم من بليندا وقبل خدها. ثم رفع رأسها ونظر إلى عينيها الغاضبتين متأملاً.. ومدّت يدها مرحبة برفيقه.

ـ جيل أن أراك ثانية سيدة أغنيس.. هل كنت تحضرين المؤتمر أيضاً؟

ـ أرجوك ناديني باسم لوسيا. اجل.. كنت في المؤتمر.. ضمن السكرتاريا. لم أكن أعرف أحداً هناك، فأشفق عليّ غارث. أموت شوقاً لرؤية أعمالك الفنية. لقد أخبرني غارث عنها ونحن نتعشى سوية، ثم طلب مني أن أحضر معه.

وضحك الجميع، ثم قدمت بليندا براد لها، ووضع براد يده في ذراعها قائلاً: «اسمحي لي سيدة اغنيس، بصفتي من منظمي المعرض ان أجول بك لرؤية معرض زميلتي. وبصفتي فنان، أستطيع أن أشرح لك كل شيء عن لوحات بليندا. مع أنه يجب أن اعترف أن بعضاً منها أعلى من مستواي الفني»!».

وقادها بلطف، ولكن بحزم.. ووقفت بليندا مع غارث!

ـ شكراً لحضورك.

ـ لقد أظهرت لوسيا الاهتمام، لذا أحضرتها.

ـ غارث، أريد أن أريك شيئاً.

وأخذت يده، وقادته إلى الناحية الثانية من الغرفة، وأشارت إلى اللوحة، المعلقة لوحدها، ثم نظرت إليه: وبدا وكأنه يلتقط أنفاسه وهو يرى رسمه وقال وهو يتنفس بصعوبة:

ـ يا إلهي.. متى؟ كيف؟ وأين؟

وضحكت، وقد اسعدتها دهشته وسروره.

ـ يوم ذهبنا إلى الريف، رسمت لك عدة رسمات من زوايا مختلفة!

ـ هل فعلتي هذا؟ ذكريني أن أضعك على ركبتي لأضرب قفاك!

ـ هل أعجبتك يا غارث؟

ـ وماذا أستطيع القول؟ هناك جواب واحد.. اعجبتني كثيراً... كثيراً جداً.

ـ هل أنت صادق؟

ـ وكيف لي أن لا أكون صادقاً معك؟



وسمعا صوتاً يدعوها «سيدة غاردنر» والتفتا معاً، ولمع فلاش آلة التصوير مرة، اثنان، «شكراً» وابتعد المصور. وأقبل براد لينضم اليهما قائلاً «ستظهرين الآن في الصحف» وضحكت لوسيا لغارث:

ـ آمل ان تكون ابتسمت ابتسامة جميلة...

ـ لأكون صادقاً.. لم يكن لديّ الوقت لأبتسم.. لقد حدّقت فقط. ربما ستعكس الصورة ما كنت أشعر به.. مذهول تماماً.. يجب عليّ أن أعتاد على زوجة لامعة في عالم الفن.

ووضعت لوسيا يدها على ذراع غارث، ونظر براد محتاراً لما يراه.. وقالت لوسيا:

ـ تعال لأريك باقي المعرض.. لديك زوجة تقرب من النبوغ..

وبما أن براد شرح لي اللوحات، ربما أستطيع أن أشرحها لك. لن تمانعي يا بليندا أن أستعير زوجك، أتمانعين؟

وابتسمت بليندا ابتسامة مشرقة وهي تهز رأسها

ـ خذيه يا لوسيا.. إنه لك تماماً.

وبينما هي تستدير مبتعدة عنهما، استطاعت أن تلاحظ بداية ابتسامة ساخرة على وجه غارث، ومسح براد جبينه وقال:

ـ يا لها من أرملة.. من امرأة. انها الفتنة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها. دعي عمك براد يقدّم لك نصيحة.. إنها بحاجة إلى مراقبة.

وحان موعد الإقفال.. وقال غارث: «سأوصل لوسيا الى الفندق يا حبيبتي» ولوحت له بليندا بروح طيبة «لا بأس يا حبيبي.. أراك فيما بعد».

وبعد أن ذهبا، وضعت ذراعاها حول خصرها واخذت تتجول في الغرفة.. كان عليها ان تتغلب على الألم لرؤيتها زوجها يتركها ليأخذ امرأة أخرى معه. ونادت عبر الغرفة الفارغة تقريباً.

ـ براد.. أتود الذهاب معي؟

ـ حتى لا تكوني لوحدك؟ حسناً، حبي. سألعب لعبتك.. افعلي ما شئت وسألعب كما تريدين.

في السيارة قالت له بليندا «شكراً يا براد».

ـ لا تفكري بالأمر. لم أكن لأتركك تذهبين لوحدك لتحزني بعد نصرك هذه الليلة.

وعندما وصلا إلى المنزل، كانت سيارة غارث هناك، وفتحت الباب لتسمع صوت الضحك ينبعث من غرفة الجلوس.. إذاً.. لم يأخذها إلى الفندق. لقد أتى بها إلى المنزل. ونظرت إلى براد قائلة:

ـ براد.. ماذا أفعل؟ هل أدخل اليهما.. أم..

ودفعها بلطف «إلى فوق يا عزيزتي.. ولتصدر صوتاً بقدر ما تستطيع».

وصفقت باب المدخل بقوة، وسعل براد وهما يذهبان إلى المرسم فوق. ولم يحاول غارث أن يخرج ليدعوهما، وساد صمت في كلا الطابقين، ثم عاد الحديث والضحك.

وشعرت بليندا بالنعاس عند منتصف الليل وقال براد:

ـ بالكاد تستطعين إبقاء عينيك مفتوحتان. سأذهب الآن. اذهبي للنوم، وانسي كل شيء عنهما. لا تستطعين عمل شيء يا بليندا، سوى أن تأملي.. يا إلهي.. لا بد أن الرجل أعمى لعدم قدرته على رؤية كل ما يريده من زوجة فيك. اعطيني نصف فرصته و... وربت على رأسها.. ثم تركها وانصرف مسرعاً.

كان براد داعمها وصديقها الوحيد في المعرض، واستمر تدفق الزوار، والعديد منهم يسأل عن الأسعار وعن اللوحات. بعد الانتهاء أوصلها براد إلى المنزل وتركها عند الباب. كان المنزل يعطي صدى الفراغ، بعد صخب المعرض. إذاً.. لم يعد غارث بعد. لقد قال لها



براد إن أمامها منافسة لها، ويبدو أنه على حق، وغارث يفضل رفقة امرأة أخرى.

وتساءلت اذا كان يحب لوسيا، فلماذا تزوجها؟ ربما في الأرجنتين، كان قد سألها أن تتزوجه، وبما انها كانت لا تزال تحب ذكرى زوجها الراحل.. رفضت. وربما تكون هذه الذكرى قد توقفت عن إيلامها. وهي الآن مستعدة للقبول بغارث، ولأن تسمح له بأخذ مكان الرجل الذي خسرت حبه.

هل تكون هذه نهاية زواجهما؟ لوسيا أقرب بالسن من غارث، وأكثر نضجاً منها، ومناسبة أكثر لتكون زوجة رجل في مثل مركزه. وإذا كان يحبها ويريد أن يتزوجها، فكيف تستطيع أن تقف في طريقه؟ ودخلت إلى غرفته واستلقت على السرير ووجهها على يدها فوق الوسادة. وأغمضت عينيها.. وحلمت بأنها بين ذراعيه، وسمعته يهمس لها، يخبرها عن حبه لها، وكم يرغب بها، وكم هو بحاجة لها...

واستفاقت على ضوء.. كان في الجهة الأخرى من السرير.. لا بد أن شخصاً قد غيّر مكانه.. واتسعت عيناها.. هذه ليست غرفة نومها.. وحدّقت بما حولها... لا... لا يمكن أن يكون غارث... ولكنه ظهر أمامها وهو يحل ربطة عنقه ويفك أزرار القميص... عيناه فيهما بريق الانتصار وشفتاه تبتسمان.

ـ حسناً.. هذا جيد.. لقد استفاقت أخيراً... هذه هي الدعوة... وليس لديّ النية أن أرفضها!

ـ إنها ليست دعوة يا غارث.. إنها غلطة..

وعرفت حالما تلفظت بالكلمات كم أنها غبية. وضحك.

ـ غلطة؟ غلطة أن تستلقي على فراش زوجك بانتظار عودته؟ يا زوجتي الساذجة والجميلة.. هذه علامات الزواج الجيد..

وحاولت الجلوس ولكنه أجبرها على الاستلقاء.

ـ ستبقين حيث أنت، لا مجال للتراجع يا بليندا.. لقد وصلنا إلى درجة اللاعودة في علاقتنا.. نامي ثانية، لن أتاخر سأوقظك عندما أصبح جاهزاً..

وصرخت بجنون «سأعود إلى غرفتي».

فابتسم وأقفل الباب بالمفتاح من الخارج وحبسها حيث هي. في غيابه أخذت تذرع الغرفة، وقد لفت روب المنزل حولها بقوة، محاولة تهدئة الطبول التي تقرع في قلبها. كيف سمحت لنفسها أن تسير نحو الفخ؟ هل هي مشاعرها وقد انقلبت إلى خيانتها.. وأنها في عقلها الباطن أرادت لهذا أن يحدث؟ لأنها تحبه وتريده، أم ربما هذا سلاح ضد لوسيا؟ ولكنه سلاح خائب.. ماذا لو أنه استخدم حقه؟ لن يمنعه هذا من معاشرة لوسيا أيضاً في أي وقت يختار.

وسمعته يعود، وأدار المفتاح وزاد رعبها، وظهر هذا في عينيها، واختنق تنفسها في رئتيها. ودخل، فرآها واقفة عند النافذة، فقال: «اخلعي روبك يا بليندا، أم تحبين أن أفعل أنا هذا».

وأطاعته بهدوء، ورمت الروب إلى الأرض، وتقدّم نحوها وعيناه تلمعان، ولم تكن غلالة نومها تخفي عن نظره الشيء الكثير. وامسك بها.. ولكنها جذبت نفسها مبتعدة. وسألها بلطف:

ـ لماذا أنت قلقة؟ لست وحشاً. سأكون الطف مما تتصورين...

وتحرك بسرعة واصبحت بين ذراعيه، وأخذ يسحقها. وسرحت بأفكارها وهي تقول لنفسها «لو أنه فقط يحبني!».

وماذا بعدما حدث؟ هل أصبحنا فعلاً رجل وزوجته، أم أن ما حدث كان عابراً. ودخل الغرفة من الحمام وقد لفّ المنشفة حوله. ونظر اليها مبتسماً «تبدين رائعة بالنسبة لامرأة تقسم بأنها تكره زوجها وتقول بأنه لا يحتمل». وجلس بقربها وهمس «لو بقيتي أكثر هنا فسأضطر للتغيب عن عملي، يا حلوتي».



وأسرعت بمغادرة السرير وركضت نحو الجهة الأخرى من الغرفة وضحك لمنظرها المرتعب، والتقطت الروب وارتدته، وأخرجت شعرها تحت الياقة، ولحقت بها عيناه وهي تخرج من الغرفة.

ولم يمض وقت طويل لتستحم وترتدي ثيابها، ثم نزلت إلى المطبخ لتتناول فطورها. وكان غارث جالساً هناك يقرأ الصحيفة المحلية:

ـ إنها صورة جميلة.

وتقدمت إلى جانبه وحدقت من فوق كتفه.

ـ لا تبدو مندهشاً في الصورة، بل تبدو مسروراً بنفسك.

ـ وأنت أيضاً سيدة غاردنر. لقد كتب المراسل يقول: قالت الفنانة وهي تشير إلى صورة زوجها «زوجي ليس للبيع.. أريد أن أحتفظ به». هل تنوين حقاً الاحتفاظ بي؟ هذه أخبار جيدة.

ـ لقد عنيت بكلامي الصورة. ما عنيته أن الصورة ليست للبيع. فقد أراد كثير من الناس شراءها.

ـ أتمنى ان يكونوا من النساء.. لا عجب في ذلك، سيدفعن أزواجهن للغيرة.

ـ في الحقيقة أنت وسيم... لا بد أن لديك شيئاً ما...

وحاول أن يمسكها ولكنها هربت منه، وتوقفت في منتصف السلم ونظر إليها من الردهة وقال:

ـ أنت ذاهبة في الاتجاه الخاطئ» يا حلوتي... إذا أردت أن لا الاحقك فلا تثيريني.. هناك زمان ومكان لهذا.. فانزلي إلى هنا!

وعادت للانضمام إليه في الردهة، فقال وهو يفرك ذقنه:

ـ من سوء الحظ أنني مضطر للسفر مع الآخرين إلى لندن بعد انتهاء المؤتمر.

وحاولت أن تخفي خيبة أملها، فتابع:

ـ ولكن قد أتدبر الأمر وأتركهم في وقت مبكر...

وكان عليها الآن محاولة اخفاء سرورها. وأجبرت نفسها على أن يبدو قولها عادياً.

ـ سيكون عليّ حضور المعرض.. لذا الأمر ليس مهماً على كلتا الحالتين.

ـ أنت باردة وناكرة للجميل.. أليس كذلك؟ بعدما حدث الليلة الماضية بيننا؟.

ـ لا.. لا.. لم أقصد هذا.. أريدك ان تبقي معي هذه الليلة.. صدقاً.

وقطب جبينه، وبدا ظاهراً أنه لم يقتنع بصدقها.. فوضعت يداها على صدره ورفعت رأسها نحوه ببطء «إنني أعني ما أقول يا غارث» فضحك وعانقها ثم أفلتها على مضض «سأرى ما أستطيع فعله».

وللمرة الأولى منذ زواجهما، لوّحت له مودعة وهو يخرج إلى عمله ومر النهار، وهرعت بليندا بعد المدرسة إلى المنزل وحضرت طاولة الطعام في غرفة طعامها لاثنين، وحضر غارث، وتناولا عشاءهما باكراً مشاركة للمرة الأولى.

وغسلا الصحون معاً، للمرة الأولى أيضاً، وخفق قلبها عندما قال غارث «هل من الضروري أن تذهبي إلى المعرض هذا المساء؟ ألا يستطيعون تدبير الأمر من دونك؟ لقد عدت خصيصاً إلى المنزل بدل السفر الى لندن.

وتنهدت.. ربما كلمة «حب» ليست موجودة في قاموسه. فكيف ستخبره عن حبها له؟ ربما سيشعر بالإحراج.. ويشعر بأنه وقع في فخ... وسمع تنهيدتها وفسّرها بشكل خاطئ»، فقال: ـ حسناً.. اذهبي، إذا كنت مضطرة.. لقد أتيت معي ببعض العمل على كل الأحوال...



وشعرت أن الوضع ينزلق خارج سيطرتها، وارتفع ذعرها فقالت:

ـ لن أذهب يا غارث.. لقد تنهدت فقط لأن.. لأن.. سأتصل ببراد، سوف يمثلني...

وأتصلت ببراد لتقول له إن ألم رأسها لن يسمح لها بحضور المعرض فقال «آسف لألم رأسك.. ولكن لا بأس سأراك غداً لأبلغك كيف كانت الليلة».

ـ شكراً يا براد.. لقد قلت لك هذا من قبل: أنت لطيف وخاصة معي.

كان غارث يقف إلى جانبها، وجهه كان جاداً وعيناه باردتان... ما الأمر الآن؟ أسمع ما قاله براد؟ وتمنت لو لم تكن حساسة هكذا لتغيير مزاجه. وقال لها:

ـ سأعمل قليلاً في المكتبة.. لن أتاخر.. أين ستذهبين؟

ـ إلى المرسم... وماذا غير ذلك؟

ـ اذهبي الى غرفة الجلوس، اقرأي، شاهدي التلفزيون، وسأنضم اليك حالما أستطيع...

كان هناك توتر غريب بينهما يجذبهما بعيداً عن بعض. كان هناك شيء ناقص في هذه الأمسية. لقد بدت الحياة لها رائعة في مطلع هذا اليوم، كبريق الذهب، وقد ذهب هذا البريق الآن، وهنا وهناك لمسة من فقدان اللمعان، مما يثبت، ربما أن الأمر لم يكن من الذهب الحقيقي.

ـ سأفعل إذا كان هذا ما تريده يا غارث...

ـ ولكنك لا تريديني.. أليس كذلك؟ حسناً اذهبي إلى لوحاتك...

ـ ولكن غارث لما لا تفهمني؟ أنا أحب لوحاتي...

ـ حسناً.. أنت تحبينها.. اذهبي إلى المرسم إذا شئتي..

وتركها تدخل الى مكتبه، ووقفت في الردهة متسائلة عند أية نقطة بدأت الأمور تسوء ثانية. عند المكالمة الهاتفية؟ لا... بالتأكيد قبلها؟ لو

أنها فقط لا تشعر بأنها غير قادرة.. ماذا كانت ستفعل لوسيا؟ لا بد أنها بخبرتها في الزواج.. تستطيع أن تدبّر أمر زوج تعب ومتوتر الأعصاب وخاصة إذا كان غارث غاردنر.

ودخلت إلى غرفة الجلوس، وأغلقت الباب، ووضعت جانباً كل تفكير بعملها.. ستثبت لنفسها قبل أن تثبت له أنها زوجة مخلصة تضع مصلحتها خلف ظهرها في سبيل إرضائه.

عندما دخل غارث عليها الغرفة كانت متكورة على الأريكة تقرأ. ونظرت إليه مبتسمة، ثم أطرقت. سرور غارث لرؤيتها هناك كان أفضل مكافأة لها على تضحيتها برغباتها الخاصة. وخفق قلبها بالسعادة لوجوده معها.. ولأنها لأول مرة يتصرفان كما يتصرف الزوج الحقيقي مع زوجته.

ـ بليندا.. تعالي إلى هنا..

ونهضت من مكانها وأقبلت نحوه، فأخذها بين ذراعيه وعانقها، وبينما هما منسجمان هكذا، رن جرس الهاتف فصرخ «اللعنة!» وعلى كره منه، سحب نفسه وذهب إلى الردهة ليرد. وشاهدت النعومة وقد غادرت عيناه لسماع الصوت من الجهة الأخرى، «ما الأمر؟» ولكنه لم يجب، بل أعطاها السماعة.

ـ بليندا تتكلم.. براد.. هل حصل شيء في الغاليري؟

ـ لا.. ولكن معي صديق قديم.. آسف للأصوات المرتفعة هنا ولكن حضر مشاهدون كثر هذه الليلة وكلهم يتكلمون بصوت مرتفع ورفع صوته لتستطيع سماع ما يقول:

ـ نويل جيمز هنا. لقد قرأ عن معرضك، وحضر ليراه، وخاب أمله عندما لم يجدك.. تحدثي معه...

ـ حبيبتي... كيف حال أجمل فتاة عندي؟ لقد علمت من براد أن حياتك الزوجية لا تطاق مع كاره النساء، قطعة الأدوات الالكترونية



الذي تسميه زوجاً لك.. يبدو أن زواجك منه يؤثر عليك سلباً.

هل كان يجب أن يكون هناك كل هذه الضجة، وهل كان عليه أن يرفع صوته هكذا ليقول هذه الأشياء الرهيبة بأعلى صوته؟ لا بد أن غارث، الواقف قربها تمكن من سماع كل كلمة قالها.. فقالت له بضعف:

ـ لقد فهمت خطأ يا نويل..

ـ لا بأس، إذا قررت أن تتخلصي منه وتهربي تذكري أنني أنتظر بذراعين مفتوحين.

ـ نويل.. لماذا أردت الحديث معي؟

ـ آه.. فهمت.. لا بد أن حارسك يستمع.. اسمعي هذا المعرض رائع..

وتحرك غارث مبتعداً.. ولاحقته بليندا بعينيها....

ـ شكراً يا نويل..

ـ في الواقع أنه جيد لدرجة أنني أسامحك وأعرض عليك معرضاً آخر في لندن. دومنيك، صاحب الغاليري، لن يعارض عندما أخبره عن نجاح معرضك هنا.. سأتصل به وأسأل متى يكون الغاليري عنده مؤمناً للعرض.. أيرضيك هذا؟

ـ هذا رائع يا نويل.. وماذا عن المصاريف وما إلى ذلك؟

ـ سأكون كبيراً وأنسى خلافاتنا.. سأدعمك مالياً كما وعدتك المرة الماضية. ستحتاجين لبضع لوحات أخرى، لا تكفي هذه لمعرض ضخم في لندن.. هل تستطيعين تدبير الأمر؟

ـ إذا عملت بجهد كاف.

ـ جيد.. سألقاك ونتحدث بالأمر...

وركضت عبر الردهة نحو غرفة الجلوس، والسعادة بادية في عينيها، ووقفت أمامه، فلم يرفع نظره عن المجلة التي كان يقرأها.

ـ نويل سيدبر لي معرضاً في لندن يا غارث. أتذكر المرة الماضية عندما سحب عرضه؟... لقد عرض أن يدعمني ثانية! ولم يتحرك، ولم يستجب، ولم يردّ، بل بقيت عيناه تلمعان.. ثم جاء رده عنيفاً، ورمى المجلة من يده ووقف:

ـ يدعمك، بماله؟ وتقبلين؟ وتعامليني مع عرضي لك بالدعم وأنا زوجك، بالازدراء؟ أتدركين بأنك بهذا إنما تقبلين مالاً من رجل غريب؟

ـ لا أرى الأمر بهذه الطريقة!.. ولا أستطيع فهم الخطأ بالأمر.

ودس يداه في جيوبه، وكأنما ليمنعهما من الامتداد اليها:

ـ لا تستطيعين!.. لا تستطيعين! وماذا بخصوص الهبة الشهرية التي تصلك؟ لماذا لا تدعمين نفسك؟ لم تصرفي سوى القليل حتى الآن ولا بد أن معك مبلغاً محترماً.

وعضت على شفتها لتمنع نفسها من قول الحقيقة، سيعلم يوماً ما ولكن ليس الآن، وتابع قوله:

ـ وشيء آخر، هناك شرط وضعته، ووافقت أنت عليه قبل زواجنا. بأنك سوف تنهين صداقتك مع نويل جيميز. لقد وفيت بوعودي لك فلماذا لا تفين بوعودك؟

ـ وهل وفيت بوعودك؟ وماذا عما حدث الليلة الماضية، لقد وعدتني أن لا تلمسني إلا إذا...

ـ وماذا عن تمثيلية نومك في فراشي.. ألم تكن دعوة؟

وأخذت تفكر: يا إلهي ماذا نفعل ببعضنا؟ بعد هذه السعادة التي خبرناها أمس، يحصل هذا الآن، إننا نحطم بعضنا.. وتابع كلامه:

ـ لقد استعدتي صديقك نويل جيميز ليركض وراءك.. يا إلهي كيف تستطيعين الحفاظ على اهتمامهم بك؟ واقع أنك متزوجة يعطيهم دفعاً لملاحقتك، وهذا دون شك عائد إلى أنك تخبرينهم عن حياتك البائسة



معي.. ألا يكفيك واحد... بل اثنان! ألست قانعة بفتان طليق الشعر يعيش على الطبيعة يركض خلفك مثل الكلب..

وانفجرت به قائلة «إنه ليس كذلك! ليس كذلك. براد جيد ولطيف ومتعاطف معي. عندما أفكر بكل ما فعله معي، وكم شجعني...

ـ لقد كنت وراء أثر خاطىء إذاً؟ إنه براد الفنان، ومع أنك زوجتي، فأنت تحبينه.. أليس كذلك؟ طوال المدة التي تزوجتك بها، كان عليّ أنا أن أتخلص وأهرب، فأنت واقعة بحب رجل آخر.

وتوجه نحو الباب، والتفت قائلاً:

ـ سأذهب إلى لندن، وسآخذ معي لوسيا، خذيه واشبعي منه فأنا سأترك ولا يهمني ماذا سيحصل لهذا الزواج اللعين.

وصعد إلى غرفته، ثم عاد يحمل حقيبة ملابس، وخرج من باب المنزل.. وركضت وراءه وهي تصيح:

ـ «غارث.. أرجوك أن تبقى!» وصعد في سيارته «غارث» وأدار المحرك، وركضت نحو النافذة «كم ستغيب»؟ ولكنه لم يرد، ولم ينظر اليها، لذا لم ير الدموع المتدفقة على خديها وضربت على الباب بيديها «غارث» وانتحبت قائلة «قل لي! أرجوك قل لي؟».

وقاد السيارة مبتعداً نحو ظلام الشارع.

## ٩ ـ هل يعود؟

بكت بليندا معظم ليلتها تلك. وتسللت إلى سرير غارث مؤملة نفسها، مع اقتناعها التام في قرارة قلبها بالعكس، أن يعود غارث ويجدها هناك. ولكن في الصباح كانت ما تزال لوحدها..

في المدرسة سألت براد ما إذا كان قد قال شيئاً لنويل جيمز حول زواجها من غارث فقال:

ـ لا شيء البتة... عندما سألني هززت كتفي، وأخذ هذا منطلقاً لاستنتاج ما يريد..

وارتاحت بليندا لقوله، فقد كانت تثق به وكان جديراً بهذه الثقة.

ـ على كل الأحوال تبدين بصورة رهيبة، ما الأمر؟

ـ لقد رحل غارث الليلة الماضية يا براد، بعد أن اتصلت بي وتكلمت مع نويل تشاجرت مع غارث وغادر المنزل.

ـ ولماذا بحق السماء؟ هل ساورته الظنون بك؟

ـ لست أدري متى سيعود، أو إذا كان سيعود...

ـ يا فتاتي العزيزة.. هل تظنين أن هذه نهاية الطريق؟ كيف لأي رجل أن يهجرك إلى الأبد.. اخبريني فقط؟

ـ براد، هناك لوسيا في حياته، لديّ منافسة، لقد قلتها بنفسك. لقد أخذها معه إلى لندن. هكذا قال.

ووضع يداه على كتفيها ملاحظاً:



ـ لديّ حدس بأن كل شيء سيكون على ما يرام يا حلوتي.. وحدس عمك براد..

ولكن بليندا هزت رأسها بيأس

مرت ثلاثة أيام دون كلمة من غارث، ولم تعد تستطيع عدّ الأيام، لأنها لم تكن تدري متى ستتوقف عن العد، كل ساعة مرت كيوم، وكل يوم كشهر، لقد اتخذ الزمن لها معنى جديداً.

في مساء اليوم الثالث أخذت تتجول في المنزل على غير هدى، محاولة التركيز على موضوع لرسم لوحة. ولكنها كلما فكرت بموضوع، حل مكانه وجه غارث الغاضب. وسمعت قرعاً على الباب، لا دقة جرس، ولا دقة ناعمة لغريب.

أول فكرة قفزت إلى رأسها إنه غارث. ولكن غارث ليس بحاجة لأن يقرع الباب بالطبع، فلديه مفتاح. ربما براد؟ أو نويل؟ وتمنت أن لا يكون نويل...

ووقفت السيدة العجوز عند المدخل، وجهها المستدير يبتسم مظهرها المريح يبعث الراحة في النفس، ثيابها شديدة الأناقة ومؤثرة كما كانت دائماً.

ـ يا طفلتي الحبيبة.. ألست سعيدة برؤيتي؟

ـ سيدة دونيكان!..

وخطت الزائرة الى الداخل، وتعانقتا، وقبلتا بعضهما البعض.

ـ ما هذه السخافة..؟ ناديني بعمتي ايلين، أرجوك. أنت ابنة أخي الآن، عن طريق الزواج!

وتحرك رأسها من جانب إلى جانب، وجالت عيناها تستكشفان محتويات الردهة. كل شيء كما هو، منذ أن غادرت.

ـ هل أنت مندهشة لرؤيتي؟

ـ آه.. يا عمتي ايلين، لاأعرف ماذا أقول.. لقد ظننت...

- أنك لن تريني مجدداً. وكذلك أنا.

وتوقفت عند غرفة جلوس غارث «هل أدخل هنا؟» وهزت بليندا رأسها.

- أتعلمين.. لقد تملكني شعور غريب يقول لي «عودي إلى انكلترا» وانا لا أتجاهل أبداً مثل هذه المشاعر، فتحركت على الفور، لن أمكث طويلاً، فقط ما يكفي من وقت لـ... حسناً، ما يكفي من وقت.

وجلست على المقعد وأشارت لها بالجلوس على ذراعه.. ولكن بليندا اتخذت الوضع المفضل لديها على الأرض إلى جانبها.

- كما في الأيام الماضية يا بليندا. كيف حال ابن ابن أخي؟ أرجو أن يكون يتصرف كزوج كامل؟ تبدين شاحبة يا عزيزتي.. ألست في الطريق لإنجاب طفل لي...

- لا يا عمتي ايلين..

وساد صمت قصير...

- المكان هادىء بشكل غريب.. هناك شيء ما.. أستطيع أن أحس به في الجو... اعرف هذا البيت كما أعرف مكنونات قلبي... واعرف عندما تكون السعادة فيه، وأعلم متى يكون حزيناً. بليندا، هناك شيء رهيب يحدث، وهذا ما دعاني للعودة.. لقد دعاني هذا المنزل القديم... هيا يا طفلتي.. أخبريني كل شيء.

أيسن ابن أخي... أين زوجك؟

- لا أعلم، يا عمتي ايلين.

واستوت ايلين دونيكان في جلستها متوترة...

- لا تعرفين...؟ ماذا تعنين؟ هل هجرك؟

- آه يا عمتي.. لا أعلم.. لا أعلم.

وأراحت رأسها على حجر ايلين وبكت، وأخذ النحيب يهز جسدها، وبللت الدموع منديلها. وتركتها العجوز تبكي، وقد أحست انها المرة



الأولى التي سمحت بليندا لنفسها أن يظهر. وأخذت ترتب شعرها الأشقر، منتظرة لتهدأ وتتكلم لتصغي لها.

وأخيراً رفعت بليندا رأسها واعتذرت، ووجهها مليء بالدموع وعيناها حمراوان ومنتفختان.

- قولي لي كل شيء يا طفلتي العزيزة. خذي وقتك، لديّ ما يكفي من وقت لأستمع.

وهكذا وببطء، وتردد، روت لها كل القصة. فصاحت ايلين.

- اتفاقية عمل... يا إلهي.. لقد ورث الكثير عني.. حتى أنا العنيدة القاسية، ولم أزل حتى الآن، تزوجت عن حب. وظننت، كم أنا غبية، أنني قد دبرت خطة ثابتة لأجمعكما. لقد جمعتكما، ولكنني لم آخذ بالحسبان ما قد تحدث بكما خطئي.

- وما الذي يجعلك تظنين إنه لن يعود؟

- إنه لا يحبني يا عمتي.

- ولكن هذه سخافة.

- لم يقل لي أبداً إنه يحبني.

- اعذريني لسؤالي.. ألم تتعاشرا كزوج وزوجة؟

- مرة واحدة.. منذ أربعة أيام.

- مرة واحدة؟ يا للسماء.. مم هو مصنوع هذا الرجل؟

- لقد قال لي إنه سيكون زواج بالاسم فقط يا عمتي. وقال إنه تزوجني فقط لأحصل على المال وليريح ضميره..

- أتمنى أن أعرف أين هو الآن. سأعطيه «اتفاق عمل» حقيقي.... سأعطيه «الضمير».

- كل ما أعرفه أنه في لندن.. لقد أخذ معه لوسيا...

- لوسيا! ومن هي لوسيا؟

- ألا تعرفين..؟ أعتقد أنني أستطيع القول إنها عشيقته.

ـ عشيقته؟ ولكنه رجل متزوج من زوجة شابة وجميلة. وماذا يريد من عشيقة؟

ـ لقد كان يعرفها من الأرجنتين.. لقد فقدت زوجها وترك لها ولدين.. وكان غارث كريماً معها، وأعتقد أنها عادت إلى هنا لترى إذا كانت تستطيع العيش هنا. إنها تعمل كسكرتيرة لمؤسسته، لقد أتى بها إلى معرضي، حتى أنه خرج معها للعشاء.

ـ كم سيبقى بعيداً؟

ـ لا أعرف.. لم يقل لي.

ـ يا الهي لم أكن أعلم أنه قد يكون قاسي الفؤاد وعنيد إلى هذه الدرجة. اعتقدت أن الزواج قد ليّنه. لم أكن أتصور أن بإمكانه العيش مع فتاة جذابة مثلك في بيت واحد، ويتزوجها ثم يغلق باب غرفة النوم في وجهها.

ـ ما عدا مرة..

ـ ما عدا مرة.. تقولين إنه لا يحبك؟ هناك طريقة لمعرفة الأمر.

أنت معلمة مدرسة.. أتستطيعين أن تأخذي إجازة دون مرتب؟

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ جيد.. افعلي ما أقوله لك.. غداً يا عزيزتي.. قدّمي طلباً لإجازة لمدة اسبوعين. وبعد غد سافري.. قرري بنفسك إلى أين، ولا تخبري أحداً.. سافري فقط، سأتصل بالسيدة هوغند، وستستمر بالمجيء إلى هنا لتنظيف المنزل، وسأعطيها عنواني لتتصل بي في الفندق، إنه والأمباسدور، هل تعرفينه؟

ـ أجل إنه الفندق الذي أقام فيه حفلة زفافنا.

ـ أوه.. هل فعل هذا.. على الأقل كان من الانسانية أن يفعل هذا لأجلك. حسناً.. عندما يحضر غارث إلى المنزل ستتصل السيدة هوغند بي. وعندما تستقرين زوديني برقم هاتفك. وسأبلغك بعودته. ستبقين بعيدة لأسبوع على الأقل بعد عودته.. هل هذا واضح؟



ـ أجل يا عمتي.. ولكن..

ـ من دون ولكن..

ـ ولكن كيف سيساعدنا هذا؟

ـ الأمر بسيط.. تستطيعين أن تعرفي بالطريقة التي سيتقبلك بها عند عودتك، ما إذا كان يحبك أو لا.. فإذا مدّ ذراعاه لك ليحضنك فهذا هو جوابك..

ـ وإذا لم يفعل؟...

ـ حسناً يا عزيزتي.. سيكون الجواب الآخر، ولكنه جواب غير سعيد. وأظن أن هذا غير معقول. ولكن هكذا هو الأمر. لا يستطيع المرء أن يعرف كل شيء عن البشر حتى ولو كان ابن ابن اخيه، حتى ولو حضنته بين ذراعيّ يوم مولده.

وصنعت بليندا بعض الشاي، وأحضرت البسكويت الجاهز.

ـ ليس لديّ توست أو مربى وزبدة.. إنني طاهية سيئة، وهذا أمر آخر يحمله غارث ضدي. إنه بارع أكثر مني بالطبخ.. إنني فتاة حالة فقط...

ـ أنت لست حالة.. إنك فتاة موهوبة.. وحان الوقت ليقول لك أحدهم هذه الحقيقة.

ـ لست موهوبة كفاية لأحتفظ بزوجي..

في الصباح التالي لحصول بليندا على الإجازة وضّبت ملابسها وركبت الباص باتجاه الريف. كانت تأمل أن تكون اقامتها قصيرة.. لو أن غارث أخبرها فقط كم سيغيب. لو أنه أخبرها لماذا تركها؟ هل سيطالب بأن يتحرر من الزواج حتى يكون باستطاعته أن يكون الزوج الثاني للوسيا؟ هل يعيشان الآن معاً؟ كانت تحدق من نافذة الباص وهي قلقة.

ووصلت الى البلدة التي ذهبت مع الأولاد وغارث إليها في السابق وتوجهت إلى الفندق. واستقبلها الموظف، وأعطاها غرفة وتبعته إلى فوق إلى غرفة ذات سقف مائل، ونوافذ واسعة تطل على منظر جميل للريف. وقال لها الموظف وهو يخرج:

ـ العشاء عند الثامنة مساء..

وغرقت بليندا في سريرها، جالسة ويداها متشابكتان حول ركبتيها. ماذا ستفعل في أيامها هنا..؟ لديها في الحقيبة، أقلام، وألوان وفراشي.. وإذا كان الطقس لطيفاً تستطيع الخروج لترسم وتلون.. وإذا لم يكن؟ وسارت نحو النافذة.. يجب عليها إذاً أن تبقى في الغرفة وتقرأ. فقد جلبت معها بعض الكتب والمجلات..

في اليوم التالي ذهبت إلى النهر، حيث ساعدها غارث على عبوره فوق الصخور.. وتردد في رأسها صوت الولد وهو يصيح «ادفعها الى النهر»... لقد دفعها الآن، ولكن خارج حياته، خارج أفكاره، وذهب بعيداً دون أن يبقى حتى ليراقبها وهي تغرق.

ذلك المساء اتصلت بالعمة ايلين، وأعطتها رقم هاتف الفندق، وسألتها عن أخبار غارث.

ـ لا شيء يا عزيزتي... لا تقلقي يا بليندا سأخبرك عندما يتغير الموقف. وفي هذا الأثناء، ارتاحي جيداً... وانسيه يا عزيزتي انسيه.

ـ لا أستطيع يا عمتي... لا أستطيع، كلما ابتعدت عنه أكثر، كلما...

ـ أنت تريدينه، أعرف كيف تشعرين، أوه يا عزيزتي، ابن أخي هذا الغبي، الأعمى العنيد..!

بعد ثلاثة أيام أبلغتها العمة ايلين بأنه عاد.

ـ لقد عاد يا عزيزتي ليلة أمس، وسأل السيدة هوغند إذا كانت تعرف أين أنت، فادّعت أنها لا تعرف. دعيه ينتظر.. دعيه يتعذب.. إياك والعودة إلى المنزل يا بليندا بعد.. وإلا فكل ما رتبناه سيفسد. اصبري.. عديني بذلك يا عزيزتي..



ـ شكراً لكل ما تفعلينه لأجلي يا عمتي..

ـ لا تشكريني يا طفلتي.. فقد ينتهي بك الأمر أن تلعنيني لتدخلي في حياتك. وإذا لم تلعنيني أنت سيلعنني هو. فلديه الكثير من اخلاقي، وأنا لا أتحمل أن يتدخل أحد في حياتي!

ومر يومان آخران، يومان مرا بالتساؤل والقلق... ماذا يفعل غارث لوحده في المنزل؟ هل هو سعيد لأن يكون المنزل له وحده؟ هل تخلى عن انتظار قدومها وعاد إلى لندن.. إلى لوسيا؟

وتغير الطقس وبدأ المطهر ينهمر، ولكنها استمرت كل صباح بالذهاب إلى النهر تحمل ألوانها وأقلامها وفراشيها. كانت تلجأ إلى تحت شجرة على ضفة النهر، أو تجلس في المغارة التي اكتشفوها مع الأطفال يوم أتوا إلى هناك. وأخذت ترسم سطح التلة الملىء بالأشجار ومياه المطر تسيل منه، والقطرات وهي تتساقط فوق ماء النهر. وحركات الماء المضطربة بفعل الرياح، والغيوم الرمادية الثقيلة تشرف على الوادي الضيق الذي يسير خلاله النهر.

ثالث يوم، بعد ظهر ملىء بالمطر، عادت إلى الفندق وقد بللّها المطر، شعرها مبلّل على الرغم من القبعة، وقدماها غارقتان بالمياه، والماء يثقل معطفها.

في مدخل الفندق، خلعت القبعة، وأفلتت شعرها ونفضته، ثم علقت المعطف، وخلعت الحذاء المبلل، وهرعت نحو دفء النار. وأملت أن لا يكون هناك الكثير من ضيوف الفندق ليروا قدميها الحافيتين.

من الأفضل لها أن لا تنظر من حولها. والأفضل أيضاً أن تتوجه فوراً إلى الدرج صاعدة الى غرفتها. شيء ما جعلها تقف.. صوت ينادي

باسمها... لن تستدير.. إنها تخيلات.. لا أحد هنا يعرف اسمها الأول، لا بد أنها لحلمها الطويل بهذا الصوت قد بدأت تسمع رنته في أذنيها. يتردد صداه حتى اعتقدت أنه حقيقي.

ولكنه ها هو من جديد.

- بليندا...

وأمسكت بياقة كنزتها العالية واستدارت.. كان يقف هناك.. في منتصف القاعة. يداه في جيوبه، وجه قاسٍ وجدي.. يعكس لهيب النار المتأججة، وعيناه قاتمتان لا يمكن سبر غورهما.

حاولت أن تلفظ كلمة «غارث» ولكن الكلمة لم تخرج. في منتصف الغرفة، واجها بعضهما البعض.. ماذا هناك ليتكلما حوله؟ بعد كل أيام الانتظار هذه، من الشوق اليه، لرؤيته، لسماع صوته، للمسه، كان هناك صمت فقط، صمت فارغ، ثقيل، مشحون... وكسر الصمت:

- انت مبتلة.. الأفضل أن تغيري ملابسك!

- نعم...

واستدارت وتابعت صعودها فأوقفها الصوت ثانية:

- بليندا.. هل لي أن أصعد معك إلى الغرفة؟

إنه زوجها.. وله كل الحق.. «ولم لا؟» صوتها كان فيه عدم الاكتراث ليغطي العاصفة التي كانت ترعد داخلها، ترجّف أطرافها، وكأن صاعقة ضربتها. وعندما دخلت وإياه وأغلقت الباب وجدت أنها ترتجف.

عزلة الأيام الفارغة الماضية كانت قد كبرت من حولها، غطّتها وكأنها جلد آخر فوق جلدها. لم يعد غريباً عليها أن تبقى وحيدة. كان الأمر وكأنها تكافح لتشق طريقها عبر ضباب ضاعت فيه لعدة أيام، وفجأة حصل اتصال مع بشري ما، لم تكن مستعدة له، أصبحت منطوية على



نفسها، في أعماق كهف في عقلها. وها هي الآن وقد أعماها ضوء النهار الباهر.

لقد أتى زوجها يبحث عنها.. ولكن.. لماذا؟ هل ليشرح لها ما يشعر به تجاه لوسيا؟ كي يطلب الطلاق؟

وبينما كانت تجفف نفسها وتغيّر ثيابها، وقف غارث يحدق من النافذة. لا يمكن أن يكون المنظر هو الذي يجذبه. لقد كان الطقس بعد الظهر هذا معتم، وعاصف، وكأنه نذير لمستقبل زواجهما.

لقد قالت عمته «ستعرفين.. كيف يشعر تجاهك، إذا كان يحبك سيفتح لك ذراعاه. وإذا لم يكن.. حسناً...».

أنه لم يبقِ يداه في جيوبه فقط، بل أدار لها ظهره. لقد حصلت على الجواب.. وسألها دون أن يكون لصوته معنى:

- في أي وقت يقدم العشاء هنا؟

وأخبرته الموعد وهي تمشط شعرها، ثم وضعت بعض الماكياج.

«غارث» فاستدار «هل حجزت؟» وأجاب «نعم».

وفكرت بجنون، ولكن دون أن تكون متأكدة.. معي؟ ولكنه سؤال لم تجرؤ على طرحه. وجلست على السرير ويداها متشابكتان ترتجف وعيناها خائفتان، مثل طفل ينتظر أن يقابل مدير مدرسته. واستدار، ولكنه لم يتحرك عن النافذة.

- بليندا.. لماذا ابتعدت عني؟

ماذا تستطيع أن تقول له؟ لأختبرك إذا كنت تحبني؟ كم سيبدو الأمر غبياً.. وأخذ يسألها بطريقة بدا فيها غير قادر على طرح السؤال الصحيح:

- هل أنتِ.. هل... هل هربت مع أحد؟

كل التعاسة التي عاشتها واختزنتها في فكرها، فجرّت حواجزها، وطغت عليها ولرعبها تحولت إلى نار تحرق جسدها بالغضب.

ـ أهذا ما نظنه بي.. أنني هربت مع رجل آخر؟ هل هذه هي الطريقة التي تفكر بها بأخلاقي؟ بكرامتي؟ حسناً.. سأقول لك.. لقد هربت مع شخص ما... وهو رجل.

وهرب اللون من وجهه، وجفّت شفتاه، وثقلت عيناه.

ـ مع من؟

ـ مع من؟ سأقول لك مع من...

وتوقفت برهة طويلة وهي تقاوم لإخراج الكلمات من القيود التي حبستها بها، من الكبح الذي كبحت فيه نفسها.

ـ طوال الوقت الذي أمضيته هنا.. كل الأيام التي أمضيتها أتجول عند النهر، أرسم، أقرأ، أو حتى أحدّق، كان معي رجل..

ورفعت عينيها إليه فتصلّب، تصلّب كل جسمه، وعقله، وعينيه وفمه... وخفضت عينيها وهمست:

ـ ذلك الرجل كان انت...

وانهمرت الدموع على وجنتيها

ـ لقد سرت معك.. تحدثت معك.. رسمت وأنت إلى جانبي... أنا.. أنا...

وتوقفت عن الكلام، لتتنفس:

ـ أنا حتى نمت معك.. كلما حاولت الهروب منك أكثر كلما تعلّق بي طيفك أكثر... وها أنت الآن قد عرفت، ولكن لا تدع الأمر يقلقك، إذا كنت أتيت تطلب الطلاق، اطلبه... ربما اوافق...

وجفّت عيناها الآن، فتجرأت على النظر إليه، كان وكأنه رجل تسلق إلى أعلى الجبل، ولاقى كل ما هو صعب، ووصل إلى القمة. ومن تحته، وحواليه هناك غرائب من الجمال لم يكن قد رآها من قبل...

وراقبت بسمته البطيئة السعيدة، والضوء يشع بهدوء من عينيه. فهمست «غارث؟».



ورفع ذراعاه نحوها عبر الغرفة:

ـ بليندا... يا حبيبتي.. يا حبي....

وركضت نحو هاتين الذراعين المنتظرتين، والتفتا حولها وسحقتاها على جسده. ومر بهما الوقت، دون نهاية، دون قياس، وبعدما هدأ شوقهما لبعض، وقفا بهدوء، وقناعة.. ينظران الى بعضهما.. وقالت بليندا لنفسها وهي بين ذراعيه «لقد عدت أخيراً إلى بيتي». وجلسا في مقعد مريح معاً. وقال غارث:

ـ كنت على وشك الجنون. عندما مرت الليلة الأولى عند عودتي ولم تعودي الى البيت. تجولت كالتائه في المنزل، دخلت المرسم، غرفة نومك.. كنت في كل مكان، ما عدا حيث أردتك بين ذراعي.. لقد اتصلت بصديقك ذو الشعر الطويل.. براد سترونغ.

ـ وماذا قال لك؟

ـ قال إنه كان مدرك بأنك ستهربين مني، ولكنه لا يعرف إلى أين. على الأقل عرفت أنك لست معه. ولكنني لم أتصل بنويل جيميز، لذا فالقلق لم يغادر عقلي.. في الصباح التالي سافرت عند أمك.

ـ كل هذه المسافة؟

ـ لقد أقنعت نفسي بأنك هناك. وبقيت هناك لتناول الطعام، أمك قلقت عليك أيضاً.. يجب أن تتصل بها لتعلمها أنك بخير..

وقطبت جبينها مفكرة، ولكنه مسح على جبهتها بأصابعه وتابع.

ـ أجل عليك أن تبدي القلق سيدة غاردنر.. لقد أخبرتني أمك كل شيء.. وأين يذهب المبلغ الشهري الذي تقبضينه.. ليس إلى جيبك ولا لحسابك في المصرف. بل لأمك. لا عجب أنك ذعرت يوم طلبت منك شراء السجاد. كيف دفعتي ثمنه يا مجنونة...

ـ من مدخراتي..

ـ أمك كانت تظن أنني أعرف؟ لقد قلت لها إنني عندما سأجدك

سأضربك على قفاك لأنك أبقيت الأمر سراً. لماذا لم تخبريني يا حبيبتي؟ لماذا كنت تدّعين أشياء؟ كنت تفهمت الوضع...

- اعتقدت أنك ستغضب لأن سبب زواجك مني قد ذهب.

وأمسك بذقنها ورفع رأسها نحوه:

- هل أقول لك الآن لماذا تزوجتك؟ لأنني من اللحظة التي شاهدت فيها الشابة النحيلة الجميلة التي دخلت غرفة عمتي، عندما شاهدت عينيها الذكيتين، الطائشتين، المثيرتين، وقعت فوراً في حبها..

- من أول مرة التقينا؟ ولكنني يا غارث، لقد بذلت جهدي لأجعلك تكرهني حتى لا تتزوجني.. لقد ادّعيت أنني أرغب في المال لأنفقه على احتياجاتي الشخصية الأنانية.. ليس لأنني لم أحبك، بل لأنني لم أكن أريدك أن تشعر بأنك تحت وطأة الالتزام بالزواج مني..

- الالتزام؟ لعن الله الالتزام! مع أنك دعوتني بعدة اسماء شنيعة وعلى الرغم من أنني طلبتك ووافقتي.. فقد كان عليّ أن أقنع نفسي بأنك ستتزوجيني من أجل المال فقط. وكان عليّ أن أضع الخاتم في أصبعك بأية طريقة لقد أقنعت نفسي بأنك حتى ولو لم تحبيني، فمع الوقت قد تحبيني وترغبين بي.. ولهذا تركتك لوحدك، على أمل أن تكتشفي بأنك تريدين فعلاً ان تكوني زوجة حقيقية لي.

- غارث.. لماذا تركتني تلك الليلة حقاً.. لماذا لم تتصل؟ أو حتى تكتب؟

- كنت غاضباً، غاضباً بمرارة منك. لأن لديك أصدقاء رجال. منذ أن التقيتك لأشهر خلت كنت في قبضة مشاعر غريبة عني. على الرغم من عدم حبي للنساء، كانت غيرة مؤلمة. وهذا بالضبط سبب مشاجرتي معك.

- لا أتحمل التفكير بهذا الأمر.. لماذا ذهبت إلى لندن؟ لتكون مع لوسيا؟



- ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ إنني على علاقة معها؟ يا إلهي.. سأضربك لأجل هذا.

- كنت غيورة.. وهذا ما حرّف حكمي عليك.

- انتهى الأمر. سأسامحك. كان عليّ أن أذهب إلى لندن لحضور سلسلة من الاجتماعات. لقد عادت لوسيا إلى عملها، لذا سأخلك معي. لقد قررت العودة إلى الأرجنتين وسافرت يوم أمس لتنضم لطفليها. هل ارتاح بالك الآن؟

- وكيف عرفت أين تجدني؟

- بفضل السيدة ايلين دونيكان.. من الواضح أن السيدة هوغند قلقت لمظهري المضطرب. وأخبرت عمتي التي لم أكن أعلم أنها هنا، وأتت عمتي لرؤيتي، وأخبرتني عن الدور الذي لعبته في عملية اختفائك.. فثرت وغضبت ونعتها بأسماء مختلفة، قلت إنك زوجتي، وإنك من شؤوني الخاصة وليس لأحد أن يتدخل. ثرت عليها وكانت تعلم أنني أنفّس عن غضبي. فجلست تبتسم وتركتني أقول ما أريد. ثم قالت ثلاث كلمات، اسم الفندق، اسم البلدة، واسمك. وخرجت من المنزل قبل أن تنهي حديثها. وها أنا هنا.

- وهل تريدني أن أترك عملي؟

- ليس قبل أن يكون هناك سبب واضح، أو غير واضح.. ولكن دون توقفك عن الرسم تستطيعين الرسم حتى بوجود أقدام صغيرة تخطو على أرض المنزل، أليس كذلك؟ في الواقع تستطيعين رسمهم.

- الأقدام الصغيرة؟

- لا أيتها المرأة الغبية... أطفالنا.

- نستطيع إقامة معرض للّوحات العائلية.. أنت، وأنا في الوسط يحيط بنا كل أطفالنا..

- يا إلهي.. وكم تنوين أن تنجبي؟

- لا تقلق يا حبيبي، اثنان كفاية...

ـ هل قلت لك يوم كم أنا فخور بقدراتك الفنية؟ ولم أشكرك أبداً على اللوحة التي رسمتيها لي.

ـ لقد وضعت كل حبي في كل ضربة فرشاة بها. ألم تستطع رؤية ذلك؟

ـ قلت لك يا حبيبتي.. انا لا أفهم في الفن. لا في التقدير ولا في التصنيف. هل تعلّميني...

فوعدته بذلك، وتابع:

ـ أمامنا دعوة من رودريك سترونغ لزيارته في الخريف. عليّ أن أسافر إلى نيويورك بعد ثلاثة أشهر، ولدي تعليمات صارمة بأن أصطحبك. أظن أن لديه لائحة من الناس، أصدقاء عائلته، يريد منك رسمهم!

ـ غارث.. أما زلت تكره النساء؟

ـ أجل.. ولكن باستثناء.. المرأة التي أحب.

في الصباح التالي أجريا اتصالين هاتفيين: الأول لوالدتها لتطمينها على سلامة ابنتها، والآخر للسيدة ايلين دونيكان في الفندق. وتحدثت بليندا معها.

ـ عمتي ايلين.. أنا سعيدة جداً.. شكراً لكل ما فعلتيه.

ـ هل نجح الأمر؟

ـ لقد نجح.. بشكل صاعق.

ـ هذا عظيم.. سأسافر الآن. وبعد تسعة أشهر ساعود، لأحتفل بولادة ابن ابن ابن أخي أو بنت ابن ابن اخي.. اخبري زوجك بهذا.. إلى اللقاء يا عزيزتي!

وأقفلت الخط..

واستدارت بليندا والدموع في عينيها إلى غارث «هل سمعت ما قالت»؟ وهزّ رأسه «إنها عجوز تحب التدخل في شؤون الآخرين!» وانحنى عليها وهمس «شكراً لله»، معاً وذراعيهما تلتفان حول بعضهما البعض دخلا غرفة الطعام لتناول الإفطار...